الاستشراق

مفهومه – وسائله – آثاره

الدكتورة

وجيهة محمد المكاوي

أستاذ الأدب والنقد المساع بكلية الدراسات الإسلامية

والعربية فرع جامعة الأزهر بمدينة السادات

(العدد الخامس والثلاثون)

(الإصدار الأول)

(١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م)

الاستشراق مفهومه – وسائله – آثاره

وجيهة محمد المكاوي
قسم الأدب والنقد، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات، مدينة السادات، جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية
البريد الإلكتروني: WagehaAlmekkawy.419@azhar.edu.eg

ملخص البحث: يحاول هذا البحث أن يلقي الضوء على مصطلح (الاستشراق) ويبين المراد منه، وبيان الوسائل التي اتبعها المستشرقون لمعرفة كل ما يتعلق ببلاد المشرق– عقائد، وعادات، وطبائع الشعوب، ولغات مختلفة، ولهجات، من خلال الترجمة، وتحقيق الآثار والمخطوطات، واكتشاف الثروات المتنوعة، وهذه كانت وسائل للوصول إلى غايات معلنة أو مستورة هي السيطرة على هذه الشعوب، وإخضاعها لمرادهم، والاستيلاء على ثرواتهم، ويعد الاستشراق أسلوبًا خاصًا في الفكر يُبنى على تفرقه أساسية بين الشرق والغرب، حتى زعموا أن الغربيين عقليون ومحبون للسلام، ومتحررون ومنطقيون... ، أما الشرقيون فليس لهم من ذلك كله شيء!!وقد حظيت الدراسات اللغوية والأدبية بالنصيب الأكبر من رعاية الغرب وحفاوتهم، وكان لهذه الدراسات الأولوية، لأن فهم إيدلوجيا الدولة يؤدى إلى الوقوف على أيسر السبل في التعامل معها، واكتساب أفضل المكاسب، والغرب لا ينسى أن الدين الإسلامي مكن القبائل المتفرقة من لمِّ الشعث ومنحهم القوة، لذلك اقتحموا داره ونشروا دينهم بين أظهرهم.. وناصبوه العداء، وتتابعت محاولاتهم على اللغة والدين فهمًا ودراسةً، مستسلمين لها تارة، ومناصبيها العداء تارة أخرى، وحاولوا إقناع القراء بأنهم يلتزمون الطرق العلمية لينجذب إليهم الشرقيون إبتداءً، ثم استثمروا ذلك كله ليعود بالنفع عليهم، وقد تنوع المستشرقون، فمنهم الملتزم بالحيدة والمنهاج العلمي وقليل هؤلاء...ومنهم المتعصب المستعلي المبغض للإسلام والمسلمين والعرب... فكتبت حِرابهم كتابات بعيدة عن الموضوعية، وجاءت تتقاطر منها قطرات الكراهية...وحينما طالعت المواد المطروحة عن

الاستشراق والمستشرقين سواء أكانت ورقية مطبوعة، أم منشورة على شبكات التواصل؛ هالني كمّ المعلومات التي أتلقاها... ومن ثم كانت الصعوبة في الانتقاء، ومحاولة الفرار من التكرار، وعرض رؤية شخصية قد توافق الأكثرية أو تخالفها، لكنها في كل الأحوال مسببة، وتستند إلى أدلة.

الكلمات المفتاحية: الاستشراق، المستشرقون، عقائد، لغات، لهجات.

Orientalism its concept - its means - its effects

Wajeha Mohammed Al-Makawi
Department of Literature and Criticism، College of Islamic and Arabic Studies for Girls، Sadat City، Al-Azhar University، Arab Republic of Egypt
E-mail: WagehaAlmekkawy.419@azhar.edu.eg

Abstract: This research attempts to shed light on this term (Orientalism) and clarify what is meant by it، as it tries to clarify the means that Orientalists used to know everything related to the countries of the East - beliefs، customs، and natures of peoples، different languages، and countless dialects، through translation. The investigation of antiquities and manuscripts، and the discovery of various wealth، all of which were means to reach declared or hidden goals، which is to control these peoples، to subjugate them to their will، and to seize their wealth. Westerners are rational، peace-loving، liberal، logical، and capable of acquiring real values، while Easterners have nothing of that!! Linguistic and literary studies have received the largest share of the care and hospitality of the West، and these studies have priority، because understanding the ideology of the state leads to finding the easiest way to deal with it، and gaining the best gains، and the West does not forget that the Islamic religion enabled the scattered tribes to unite the Shaath and give them strength Therefore، they stormed his house and spread their religion among their backs.. and they set up hostility against him، and their attempts continued on language and religion in understanding and study، surrendering to it at times، and to its positions of hostility at other times. The Orientalists varied، some of them committed to impartiality and the scientific method until their judgment came closer to the truth، and their proposal came closer to objectivity، and few of them...and some of them dived into the sea of Arab works، shielding the shield of fanaticism، arrogance and hatred of Islam، Muslims and Arabs... So they wrote

their spears in writings far from objectivity. And from it، drops of hate poured out... and the achievements of the Orientalists mostly revolved around four axes: (the linguistic axis، the religious axis، the political axis، and the societal cultural axis). What is presented about orientalism and orientalists، whether it is in printed paper or published on social networks; I was horrified by the amount of information that I receive... Hence the difficulty in selecting، trying to escape from repetition، and presenting a personal view that the majority might agree or disagree with، but in all cases it is causative، and is based on evidence.

Keywords: Orientalism، Orientalists، Beliefs، Ianguages، Dialects

بسم الله الرحمن الرجيم

المقدمة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد: فإن الاهتمام بالشرق ضارب بجذوره في القدم، وإن كانت أهدافه دائمة التجدد، لذا فقد مسته يد التطوير عبر العصور، وتشعبت وسائله، وظهرت آثاره، تلك الآثار التي تراوحت بين السلب والإيجاب، ثم ترتب على كل منهما الكثير من المنافع أو الأضرار...

"ويعد الاستشراق أسلوبًا خاصًا في الفكر يُبنى على تفرقه أساسية بين الشرق والغرب ، حتى زعموا أن الغربيين عقليون ومحبون للسلام ، ومتحررون ومنطقيون وقادرون على اكتساب قيم حقيقية ، أما الشرقيون فليس لهم من ذلك كله شيء !!" (١)

وقد حظيت الدراسات اللغوية والأدبية بالنصيب الأكبر من رعاية الغرب وحفاوتهم، وكان لهذه الدراسات الأولوية ، لأن فهم إيدلوجيا الدولة يؤدى إلى الوقوف على أيسر السبل في التعامل معها ، واكتساب أفضل المكاسب، والغرب لا ينسى أن الدين الإسلامي مكن القبائل المتفرقة من لمِّ الشعث ومنحهم القوة، لذلك اقتحموا داره ونشروا دينهم بين أظهرهم .. وناصبوه العداء، وتتابعت محاولاتهم على اللغة والدين فهمًا ودراسةً، مستسلمين لها تارة، ومناصبيها العداء تارة أخرى ، وحاولوا إقناع القراء بأنهم يلتزمون الطرق العلمية لينجذب أليهم الشرقيون إبتداءً ، ثم استثمروا ذلك كله ليعود بالنفع عليهم.

والإقبال على الشرق قاسم مشترك بين دول الغرب ،وتنوع المستشرقون، فمنهم الملتزم بالحيدة والمنهاج العلمي حتى جاء حكمهم أقرب

١الاستشراق والخلفية الفكرية لصراع الحضارة، د محمد حمدى زقزوق ، صـ ١١٨ ، سلسلة كتاب الأمة ، ط ١

إلى الصواب، وجاء طرحهم ألصق بالموضوعية ، وقليل هؤلاء... ومنهم من غاص في بحر المصنفات العربية متدرعًا درع التعصب والاستعلاء وبغض الإسلام والمسلمين والعرب... فكتبت حِرابهم كتابات بعيدة عن الموضوعية، وجاءت تتقاطر منها قطرات الكراهية...

ومنجزات المستشرقين دار معظمها في فلك محاور أربعة :(محور لغوي،ومحور ديني، ومحور سياسي، ومحور مجتمعي ثقافي)

وحينما طالعت المواد المطروحة عن الاستشراق والمستشرقين سواء أكانت ورقية مطبوعة ، أم منشورة على شبكات التواصل؛ هالني كمّ المعلومات التي أتلقاها... ومن ثم كانت الصعوبة في الانتقاء ، ومحاولة الفرار من التكرار، وعرض رؤية شخصية قد توافق الأكثرية أو تخالفها، لكنها في كل الأحوال مسببة ، وتستند إلى أدلة.

وقد جعلت عنوان البحث (الاستشراق) وهى كلمة أضيفت إلى معجم الأكاديمية الفرنسية في العام ١٨٣٨ إذ حدد روبنسون كلمة المشرق في اللغة الإنجليزية عام ١٧٧٩"[١]. **وحينما طالعت المواد المطروحة عن الاستشراق والمستشرقين سواء أكانت ورقية مطبوعة أم منشورة على شبكات التواصل؛ هالني كمّ المعلومات التي أتلقاها بين آراء وندوات ومؤتمرات ومؤلفات لا حصر لها... منها المقصور على الاستشراق بمنظومته المتكاملة[٢]**،

١فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، أحمد سمايلو فيتش، صـ ٢٢، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٢.

٢ في تبيين أجزاء الاستشراق: المستشرق، طرق التواصل، المنجزات الاستشراقية. ونشر عدة مؤتمرات منها: مؤتمر الاستشراق ما له وما عليه ٢٠١٦ كلية العلوم والآداب جامعة القصيم. ومؤتمر المستشرقون والتراث العربي جامعة الأزهر كلية اللغة العربية بالزقازيق ٢٠١٥. ومؤتمر دولي في العاصمة الأوكرانية حول علوم الاستشراق، شراكة مركز = الدراسات الإسلامية في أوكرانيا وجامعة تافريدا. وعقدت جامعة القاهرة عدة مؤتمرات عن التنوير وعن الاستشراق. وقد شاركت في إحداها " آفاق التفاعل بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي ، دار العلوم ، ١٨-١٩ ٤- ٢٠١٠

ومصطلح (الاستشراق) نال من الشهرة ما نال، لكن إشكالية البحث تكمن في الحكم على هؤلاء ، أو الحكم لهم ، فهناك رأي يحمد لهم صنيعهم ، من حيث المنهاج العلمي الذي أضفوه على المنجزات العربية مما أسهم في انتشارها .وهناك من يقول: إنهم كانوا وبالاً على العربية وآدابها، إذ كانت أعمالهم موجهة ، وكانت ذات أغراض نفعية غربية محضة...فهل تغيرت نظرتنا لأعمال المستشرقين وتغير موقفنا من رفض أو قبول ما عملوه ، أم مازلنا نلتزم الشك فيما صدر ويصدر عنهم ؟ !

وهل صاحبت أحكامنا لهم أو عليهم الأسباب والعلل، أم اكتفينا بالهجوم الرافض ... ؟!

هذا ما يحاول البحث الإجابة عنه .

وقد قسمت المادة العلمية على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول: يلقي الضوء على مصطلح الاستشراق، وأهدافه ، وبداياته.

المبحث الثاني: يتناول دوافع الاستشراق ووسائل التواصل .– القديمة –الحديثة

المبحث الثالث: يعرض للآثار السلبية والإيجابية للاستشراق . وأثر الأدب العربي فى الأدب الغربي

ثم تأتي الخاتمة لتعرض موجز ما توصل إليه البحث من نتائج وتوصيات ، وتليها أهم المصادر والمراجع.

توطـئة:

حظي الشرق العربي المسلم باهتمام الغرب في شتى المجالات إذ كانوا يرصدون توهجه وأفوله ، وانبساطه وانحساره ، وشمل هذا الاهتمام المناحي الاجتماعية، والثقافية، والسياسية، والدينية، لكن الغربيين سلطوا اهتماماتهم على التحليل والرصد للناحيتين اللغوية والدينية بشكل أكثر كثافة، إذ اهتموا بالتاريخ الممتد للبدايات الأولى للدين الإسلامي الحنيف، واللغة العربية، واستتبع ذلك الاهتمام بكل ما يتعلق بهما، ويمت لهما بصلة...

ومن الغربيين من تخلى عن الموضوعية وخضع لهواه؛ فعمد إلى التشكيك في الحديث عن الدين وعن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، أو عن مزايا تراثنا اللغوي.

ومنهم من تزيا بثياب الواعظين وعدّد فوائد الإسلام وفوائد اللغة العربية، ومنهم من وضع السم في العسل، وأظهر الود، وهو منطوٍ على كره بالغ، وحقد دفين .

ولقد عرضت لبعض الآراء بإيجاز لأشير للنهجين، وقد قامت الدراسات الكثيرة حول الاستشراق لتوضح ماله وما عليه؛ وتوالت المؤلفات من الجانبين الغربي والشرقي فى الموضوع نفسه ([1])

ويحاول البحث أن يسأل: هل تغيرت نظرتنا لأعمال المستشرقين؟!

وهل تغير موقفنا من رفض أو قبول ما عملوه أم ما زلنا نلتزم التوجس والشك فيما صدر ويصدر عنهم ؟!

وهل موقفنا اتسم بالتعليل أم اكتفينا بالهجوم الرافض ؟

هذا ما يحاول البحث مناقشته، والله من وراء القصد، وهو الهادي إلى سواء السبيل .

١حتى أصدر أحد المستشرقين الهامين (جاك بيرك) نعيًا له " مبشرًا بتحوله إلي حقل معرفى محض ، محرر منه النوازع الاسعمارية والإرتهان للرؤى التقليدية المتعالية " الاستشراق والوعي السلبي ، خيري منصور ، ، مكتبة مدبولي ص٧. ٢٠٠٥

المبحث الأول : أضواء على
(الاستشراق– أهدافه - بداياته)

الاستشراق:

يقول ابن فارس في المقاييس : (الشِّينُ وَالرَّاءُ وَالْقَافُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى إِضَاءَةٍ وَفَتْحٍ. مِنْ ذَلِكَ شَرَقَتِ الشَّمْسُ، إِذَا طَلَعَتْ. وَأَشْرَقَتْ، إِذَا أَضَاءَتْ. وَالشُّرُوقُ: طُلُوعُهَا)[1]

والشرق هو: الجهة التي يبدو منها الضوء...، وقالوا : فلان باق في المشرق، يريدون موضع القعود في الشمس ، والتشريق: الأخذ في ناحية الشرق. وشرقوا : ذهبوا إلى الشرق أو أتوا الشرق[2]..والشرق : البلدان الواقعة جهة طلوع الشمس، وتَشَرَّق: صار مستشرقًا، وهو المهتم بالدراسات الشرقية ، أوالمهتم بالشرق وتراثه وحضارته ولغاته. وقد وردت مادة (ش ر ق) في القرآن الكريم سبع عشر مرة [3]. ودخول الألف والسين والتاء يفيد الطلب، أي: تطلب دراسة الشرق .

١– معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (ش ر ق)

٢لسان العرب،ابن منظور الأفريقي المصري – دار صادر – المجلد العاشر، باب حرف القاف مادة شرق، ط١ ،١٤١٠.

٣المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ١٩٥٨ ط دار الكتب المصرية ، لشرق وبتصريفات وألفاظ متعددة للكلمة (مشرق والمشرق ومشرقين والمشرقين وشرقيآ وشرقية والإشراق وأشرقت) وردت في القرآن (١٧) مرة (٤) منها في سورة البقرة في الآيات (١١٥ و ١٤٢ و ١٧٧ و ٢٥٨) ومرة واحدة في سورة الأعراف الآية (١٣٧) ومرة واحدة في سورة الحجر الآية رقم (٧٣) ومرة واحدة في سورة مريم الاية رقم (١٦) ومرتين في سورة الشعراء في الآيتين رقم (٢٨ و ٦٠) ومرة واحدة في سورة الصافات الآية رقم (٥) ومرة واحدة في سورة ص في الآية رقم (١٨) ومرة واحدة في سورة الزمر الآية رقم (٦٩) ومرة واحدة في سورة الزخرف في الآية رقم (٣٨) ومرة واحدة في سورة الرحمن في الآية رقم (١٧) ومرة واحدة في سورة المعارج في الآية رقم (٤٠) ومرة واحدة في سورة المزمل في الآية رقم (٩)

." استعان فيه بكتاب نجوم القرآن فى أطراف القرآن للمستشرق الألمانى فلوجل – ويكيبديا.

أما (الاستشراق) في اصطلاح أهل العلم فهو : "دراسة علوم الشرق ، وأحواله، ومعتقداته، وبنياته الطبيعية والعمرانية والبشرية ، ودراسة لغاته ولهجاته وطبائع الأمة الشخصية،"[١]. أو هو : العلم الذي يتناول المجتمعات الشرقية بالدراسة والتحليل من قبل علماء الغرب" [٢]. أو هو اشتغال غير المسلمين بعلوم المسلمين ([٣])

(فالاستشراق: هو دراسات أكاديمية يقوم بها غربيون حول عقائد ولغات الشرق ، وتتعدد أهدافهم ، فمنهم من يهدف إلى تشويه الإسلام ، ومنهم من يبرز مافي هذه اللغة من خصائص ، وما في المعتقدات من صفات .

ولقد ركز الاستشراق الأكاديمي نشاطه على اللغة العربية باعتبارها أهم أفرع اللغات السامية، ونظر إلى النصوص القديمة في إطار بشري خاضع للنقد والتحليل،ثم بعد ذلك انفصلت العلوم الإنسانية عما عداها، وصار لها حقل خاص بها في مطلع القرن العشرين على يد المستشرق الألماني كارل هانير.

ويرى إدوارد سعيد أن الاستشراق ما هو إلا أسلوب غربي للسلطة، وإرادة حكم الغرب للشرق ، وامتلاك السيادة عليه" [٤]. حيث يقوم الغرب بإطلاق الأحكام والنظريات عن الشرق، من وجهة نظره ورؤياه ، ومحاولة تسخيره وبسط السيادة عليه،

١الاستشراق والتاريخ الإسلامي القرون الإسلامية الأولى، د. فاروق عمر،الأردن للنشر صـ ١٥.

٢نقد الخطاب الاستشراقي، ساسي ، سالم الحاج، صـ ٢٠ ، بيروت ٢٠٠٢.

٣مصادر الإستشرق والمستشرقين ومصدريتهم ، إبراهيم على النملة ، صـ ٢٣ ، مكتبة النوبة الرياض ، ١٩٩٣

٤-الاستشراق: المعرفة، السلطة، الإنشاء، إدوارد سعيد، ت: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، الطبعة العربية السادسة ٢٠٠٣. صـ ١٧.

في حين يرى الدكتور زقزوق أن الاستشراق ما هو إلا معرفة الشرق ودراسته"[1].

ومن هنا ظهر لفظ (المستشرق) وهو الذي يتتبع ويرصد ما يدور في الشرق (التاريخ والعادات وتطور اللغة، والمذاهب الفقهية والعقدية ... إلخ

فالاستشراق قائم على نظرة الآخر الغربي إلينا في الشرق ، تلك النظرة التي شكلت بطانة مؤطرة بأن الشرق يعيش حالة متأصلة من التخلف والجهل؛ لتغليبه الدين على العلم ، والإيمان على العقل ، وفي هذه النظرة يحتل السحر والشعوذة مساحة كبيرة من مكونات عقل الشرقي، فالعقل الشرقي عقل عرفاني، في مقابل العقل الغربي الذي هو بطبيعته عقل برهاني استدلالي... وقد أزكى "رينان" هذه الفكرة بالتنيصص على وجود عقلين:

الأول : عقل سحري غنوصي ([2]) باطني ، يمثله اليوم العرب والمسلمون.

والآخر: عقل "آري" بطبيعته استدلالي برهاني، يمثله اليوم الغرب متمثلاً في أوروبا.

فالرؤية الغربية للشرق مليئة بفكر خاطئ ملتو عن إرث تاريخي مغلوط، حيال الشعب العربي الإسلامي، وذلك حصيلة تراكمات منذ القرون الوسطى، يوجهها ويحكمها تخوف نفسي من سيطرة العرب وقدراتهم الفائقة عبر عصور التنافس والصراعات العسكرية .

١– الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، صـ ١٨.د محمود حمدي زقزوق، دار المعرفة ، القاهرة، د ت

٢ – الغنوصية أو العرفانية أو المعرفية) هي مصطلحات حديثة تطلق على مجموعة من أفكار ومعارف من الدياناتالقديمة التي انبعثت من المجتمعات اليهودية في القرنين الأول والثاني الميلاديين. وبحسب تفسيرهم = = للتوراة، اعتبر الغنوصيون (أو العرفانيون) أن الكون المادي هو انبثاق للرب الأعلى الذي وضع الشعلة الإلهية في صلب الجسد البشري. ويمكن تحرير أو إطلاق هذه الشعلة عن طريق معرفتها، أي "أغنصتها." موسوعة ويكبيديا

أما لفظ (المستشرق):

ففي تعريفات أكسفورد أن "المستشرق من تبحر في لغات الشرق وآدابه"[١].

وقد يعود وجود لفظ (مستشرق) إلى منتصف القرن السادس عشر ١٦٣٠حين أُطلق على أحد أعضاء الكنيسة الشرقية أو اليونانية .

والاستشراق في حقيقته مهنة أكثر منه علمًا "[٢] لأن المستشرقين القدامى كانوا يترجمون المخطوطات ويعملون فيها دون تخصص ، وتُعد ألمانيا أكثرهم اهتمامًا باللغة إذ اهتم أمراء العالم المسيحي بشراء المخطوطات ؛ لتكون بداية التوجيه والتوجه، وبمعنى أدق ركزوا في الحصول على المخطوطات وتجميعها....

وتعد المدرسة التي نشأ فيها بروكلمان[٣] أول مدرسة لنشر اللغة العربية ، ثم توسع تيودور نلدكه[٤] في دراسة اللغات السامية ، وعُدّ شيخ المستشرقين الألمان، وهو أستاذ كارل بروكلمان، لكن الاهتمام الألماني باللغة والعلوم

١- المستشرقون البريطانيون، آربري لتون، ت محمد الدسوقي النويهي، صـ٨، ١٩٤٦، ط١.

٢ - المرجع السابق صـ٣١

٣ - ولد بروكلمان في ١٧ أيلول ١٨٦٨ في مدينة روستوك لعائلة ميسورة من طبقة التجار وظهر نبوغه فى سرعة إتقان اللغات فأتقن الآرامية والسريالية ، وضع نولدكة مسابقة لدراسة العلاقة بين كتابي «الكامل» لابن الأثير و «أخبار الرسل والملوك» للطبري، فقام كارل بذلك و في (ابريل) عام ١٨٩٠ نال درجة الدكتوراه في الفلسفة... وفي عام ١٨٩١ ترجم إلي الألمانية للجزء الاول من ديوان ليبد ثم أصدر الجزء الثاني من الديوان بالمتن والترجمة،

٤- تيودور نولدكة ١٢٥١-١٩٣٠، ألماني الجنسية تعلم في جامعة غوتنجن اهتم باللغات السامية والتاريخ الإسلامي فعين أستاذا لهما في ج غوتنجن، ومن كتبه، تاريخ القرآن، والنحو العربي، وحياة النبي محمد... وأتقن العربية والفرنسية والإنجليزية وغيرها من اللغات. الأعلام للزركلي، ج ٢ صـ ٩٦، دار العلم للملايين ٢٠٠٢، بتصرف.

الإسلامية تراجع بعد الحرب مما يشكك في نوايا الإقبال عليها . **فالرؤية الغربية للشرق مليئة بفكر خاطئ ملتو عن إرث تاريخي مغلوط، حيال الشعب العربي الإسلامي ، وذلك حصيلة تراكمات منذ القرون الوسطى، يوجهها ويحكمها تخوف نفسي من سيطرة العرب وقدراتهم الفائقة عبر عصور التنافس والصراعات العسكرية؛ من نحو الحروب الصليبية والفتوح الإسلامية ، ولا زالوا يئنون من فتح الأندلس، فالزاوية التي ينظر الغربي منها للشرقي موجهة قبَلا ومحددة الأهداف، ومعلومة الدوافع. لكن مردودها ولا شك كان له جانبٌ إيجابٌي مضيٌئ على الشرق حتى ولو كان منبعه الغرب هادفًا السلبية والظلام ، فقد صور الشعب المسلم الشرقي الفاتح على أنه مهدد للمسيحي الغربي المفتوحة بلاده، ففي مطلع العصور الوسطى صور "أن هناك شعبًا هائجًا اسمه العرب أو "السراسنة" نسبة إلى سارة زوج النبي إبراهيم صورتهم تلك الأسطورة على أنهم برابرة يغزون إسبانيا وإيطاليا**[1].

المهم أن مصطلح (المستشرقين) يشير إلى : العاملين في ميادين الدراسات الشرقية، فهم يدرسون العلوم والفنون والآداب والديانات والتاريخ وكل ما يخص شعوب الشرق مثل الهند وفارس والصين واليابان والعالم العربي وغيرهم من أمم الشرق **فالمستشرقون القدامى كانوا يترجمون المخطوطات ويعملون فيها دون تخصص وهو ما نلاحظه من بعض التعريفات ، ثم بمرور الوقت توجهوا أكثر نحو البرامج المتخصصة في كلياتهم ثم فيما يقومون به من نشاط . وربما الخلط الذى وقع من بعض المستشرقين في الماضي راجع لأنهم كانوا يحيزون لفظ ومعنى " المتبحر " مثل تعريف آريري للمستشرق**

١ موسوعة الدراسات الاستشراقية، صـ ١٦، بتصرف.

فى كتابه المستشرقون البريطانيون ([1]) والآن المستشرقون أكاديميون أكثر تخصصًا مما وسمهم بأنهم أكثر دقة .

ثم نهض الغرب ووثب نحو الريادة في العلوم والآداب وصارت المنجزات الأوربية ملكًا شائعًا للبشرية، وفي رحلاتهم التصاعدية وجدوا العرب الأُول قلما غابوا عن مجال من مجالات التقدم بل عُدوا هم الجذور الأولى له، فتجدد اهتمامهم بعلوم المشرق وآدابه، ولكن بشكل نظامي مرتب، فظهرت مدارس مختلفة الانتماءات ألمانية، وإنجليزية، وفرنسية، واختلف اهتمامها بالأولويات؛ فمنهم من اهتم بالفنون، ومنهم من ركز مع الآداب، ومنهم من فتش في العلوم، وتعد ألمانيا أكثرهم اهتمامًا باللغة إذ اهتم أمراء العالم المسيحي بشراء المخطوطات لتكون بداية التوجيه والتوجه، وبمعنى أدق ركزوا في الحصول على المخطوطات وتجميعها، وتعد المدرسة التي نشأ فيها بروكلمان([2]) أول مدرسة لنشر اللغة العربية إذ قام كريستمان (١٥٥٤-١٦١٣) بتدريسها فأحبها بروكلمان وأتقنها.

---

١ الدسوقي النويهي ت مجمع لندن، مطبعة وليام كولينز صـ٢٧ ،١٩٤٦

٢ كان بروكلمان قد دوّن سيرته الذاتية بخط يده، ونشرت مجلة «أوريانس» (التي تصدرها الجمعية الدولية للدراسات الشرقية – تصدر الآن عن دار النشر بريل في هولندا) في ١٩٨١ «ذكريات وملاحظات» كان سجلها بروكلمان عام ١٩٤٧ وولد بروكلمان في ١٧ أيلول ١٨٦٨ في مدينة روستوك لعائلة ميسورة من طبقة التجار وظهر نبوغه فى سرعة إتقان اللغات فأتقن الآرامية والسريالية وفى عام ١٨٨٦ التحق بستراسبورغ، ليدرس التركية و في عام ١٨٨٨درس الحضارة المصرية القديمة. وفي ١٨٨٩ وضع نولدكة مسابقة لدراسة العلاقة بين كتابي «الكامل» لابن الأثير و «أخبار الرسل والملوك» للطبري، فقام كارل بذلك و في (ابريل) عام ١٨٩٠ نال درجة الدكتوراه في الفلسفة... وفي عام ١٨٩١ ترجم إلي الألمانية للجزء الاول من ديوان لبيد ثم أصدر الجزء الثاني من الديوان بالمتن والترجمة، وفي نهاية ١٨٩٢ ذهب الى بريسلا و حصل على درجة الكفاءة للتدريس الجامعي في ١٨٩٣ قام بدراسة عن مؤلف ابن الجوزى التاريخي ثم توالى اهتمامه بالأدب العربي وتتابعت مؤلفاته به ، إضافة إلى اهتمامه الخاص بالمخطوطات، وقد نقل نسخة من «عيون الأخبار» لإبن قتيبة وأخذها معه، واهتمت اكاديمية برلين بطباعة مؤلف ابن سعد=

ثم توسع تيودور نلدكه[1] في دراسة اللغات السامية وعُدّ شيخ المستشرقين الألمان، وهو أستاذ كارل بروكلمان،([2]) لكن الاهتمام الألماني باللغة والعلوم الإسلامية تراجع بعد الحرب مما يشكك في نوايا الإقبال عليها قبلها، ونجد من المستشرقين الإنجليز أصحاب التأثير جب، ليال، الهولندي دوزي، وقد كانت هناك بعض المؤثرات والدوافع التي عملت على اهتمام الغرب بعلوم وسيكولوجيات المجتمع الشرقي خاصة المنطقة العربية، فالألمان اهتموا بالدراسات العربية، وبالأدب الأسباني، فالأندلس درة الساحة الإسلامية في أوربا فقد كانت مضيئة بالإسلام والمسلمين في نهاية القرن الهجري الأول، وبدأ الإسلام ينساب في أوربا المسيحية حتى صقلية على قربها من العاصمة روما ومقر الفاتيكان، وأسقط الإمبراطورية الرومانية الشرقية، وكاد ينير أوروبا الغربية لولا معركة بواتييه ([3]) وتوسع في شرق أوروبا توسعًا كبيرًا في العهد التركي.

=وظهر المجلد الـ ٨ الذي اشتغل عليه بروكلمان. ومن اهم اعماله الأخرى «تاريخ الأدب العربي» الذي جاءت قصته عندما كان في صدد إصدار نسخه «عيون الأخبار ".

١ تيودور نولدكة ١٢٥١–١٩٣٠، ألماني الجنسية تعلم في جامعة غوتنجن اهتم باللغات السامية والتاريخ الإسلامي فعين أستاذا لهما في ج غوتنجن، ومن كتبه، تاريخ القرآن، والنحو العربي، وحياة النبي محمد... وأتقن العربية والفرنسية والإنجليزية وغيرها من اللغات. الأعلام للزركلي، ج ٢ صـ ٩٦، دار العلم للملايين ٢٠٠٢، بتصرف.

٢ ولد فى ١٧ من ستمبر ١٨٦٨ كان أبوه يتجر فيما يسمى بسلع المستعمرات وكانت أمه سيدة موهوبة روحيًا وعنها ورث ذاكرة لاقطة وكان عضوا في جمعية المستشرين الألمان ، والجمعية الآسيوية الملكية ، والجمعية الشرية الأمريكية وغيرها وله مؤلفات كثيرة فى اللغة العربية باقسامها المختلفة أشهرها تاريخ الأدب العربي ومنح ١٩٥١الجائزة الوطنية من الدرجة الأولى الأعلام للزركلي ٢١٢/٥ ط٥، ١٩٨٠

٣ معركة بلاط الشهداء أو معركة تور) بالإنجليزية(Battle of Tours : أو معركة بواتييه)بالفرنسية(Bataille de Poitiers : هي معركة دارت في رمضان 114 هـ/أكتوبر 732م في مكان يقع بين مدينتي بواتييه و تور الفرنسيتين، وكانت بين قوات مسلمين تحت لواء الدولة الأموية،[بقيادة والي الأندلس عبد الرحمن الغافقي من جهة،=

وأخيرًا تقول د. عفاف صبره عن المستشرقين: "طوائف متعددة تعمل في ميادين الدراسات الشرقية، فهم يدرسون العلوم والفنون والآداب والديانات والتاريخ وكل ما يخص شعوب الشرق مثل الهند وفارس والصين واليابان والعالم العربي وغيرهم من أمم الشرق[١].

فالمستشرقون إذن هم "الكتاب الغربيون الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي وعن الحضارة الإسلامية(٢).

أهداف الاستشراق وبداياته:

تنوعت أهداف الاستشراق واتفق المهتمون بالدراسات الشرقية على أنها تدور في فلك: سياسي نفوذي يهدف إلى بسط السيطرة ، وهو ما ذهب إليه كثير من الباحثين حيث نظروا إلى الاستشراق على أنه (عمل سياسي، تحت ستار ثقافي ، غايته فصل الإسلام عن المسلمين، وإيجاد نوع من الصراع بين الطرفين حتى يعجز المسلمون عن التمسك بدينهم ، ويتحولون جميعًا إلى ما ليس إسلاميًا أبدًا[٣]. فستصداع العلاقة بين الإسلام والمسلمين حتى ينسلخوا من ضوابط الإسلام وتعاليمه هو الهدف الذي يدور في فلكه المستشرقون، وبخاصة أنهم نجحوا في ذلك في الأندلس، ونجحت طريقتهم في إقناع

=وقوات الفرنجة و البورغنديين بقيادة شارل مارتل من جهة أخرى، وانتهت بانتصار قوات الفرنجة وانسحاب جيش المسلمين بعد مقتل قائده عبد الرحمن الغافقي. ،اعتبر مؤرخو الفرنجة في القرن التاسع، نتيجة المعركة حكم إلهي لصالح الفرنجة، كما اكتسب شارل مارتل من حينها لقبه "Martellus" الذي يعني المطرقة.

١ الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، د محمود حمدي زقزوق، ص١١ دار المعرفة القاهرة، د ت.

٢ إنتاج المستشرق وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، مالك بن نبي، صـ ١٣، دار الإرشاد للطباعة والنشر، ب ت.

٣- الاستشراق السياسي في النصف الأول من القرن العشرين، د مصطفى نصر المسلاتي، صـ٥، ط الثالثة، مكتبة الأطلسي ١٩٩٧. المستشرقون، ج٣، صـ ١١٥٦ وما بعدها، د نجيب العقيقي، ط ٢، ١٩٨٥.

المسلمين أن يتركوا إخوانهم نهبا لأعدائهم، وأن يسلبوهم الحمية في الدفاع عن بعضهم البعض ،حتى نزعوا الأندلس من بين أضلاع الكيان الإسلامي.

ولا نستطيع أن نحسم بداية الاستشراق في البلاد الإسلامية ، وهل بدأ منذ اتسعت الفتوحات الإسلامية ودخلت الأفواج غير المسلمة في دين الله أم قبل ذلك ، لكن الذي لا شك فيه هو أن الحروب الصليبية كان لها القدح المعلى في الاحتكاك والتواصل بين الشرق والغرب (١) وقد أدرك الغرب قيمة الإسلام في قلوب المسلمين، وكذلك أدركوا قيمة الرسول الكريم ﷺ في قلوب المسلمين، فحاولوا التلطف في الدخول إلى العقل المسلم من خلال الكتابات الناعمة مثل كتاب الراهب يوحنا الدمشقي " حياة محمد حوار بين مسيحي ومسلم". ثم بدأت مرحلة ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الغربية ، وتتلمذ كثير من طلاب العلم الغربي على علماء المسلمين، مثل الراهب الفرنسي "جربرت" الذي انتخب بعد ذلك بابا لكنيسة روما ٩٩٩، وبطرس المحترم (١٠٩٢– ١١٥٦) وجيراردي كريمون[٢]. وبدأت مظاهر التواصل تزداد يوما بعد يوم ، فرحل كثير من الغربين من بلاد الغرب إلى البلاد الإسلامية مثل الراهب الفرنسي (جدير دي اوليك٩٣٨– ١٠٠٣) الذي رحل من فرنسا إلى إسبانيا مهد الحضارة الإسلامية، وتعلم اللغة العربية، وأتقن علومها ثم توالى الرواد الغربيون المهتمون بفنون الشرق. وشهدوا التقدم، ولمسوا الخيرات فطمعوا فيها. وتنبهوا لقوة الإسلام ومقدراته.

ولاشك أن الحروب الصليبية (١٠٩٧ – ١٢٩٥) كانت عاملا مهما من عوامل الاحتكاك بين الشرق والغرب ، حيث تركت فى نفوس الأوروبيين آثارًا عميقة، وقد رسخت هذه الحروب في نفوس الغربيين مدى قوة المسلمين،

---

١ –موقع نت... معلومات أساسية، (بتصرف).

٢ – الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم،ص١٨، مصطفى السباعي، دار الوراق، المكتب الإسلامي ط١، ١٩٦٨

واستعدادهم في بذل الغالي والرخيص في سبيل الدفاع عن مقدساتهم ، ومن هنا بدأت العقلية الغربية تغير من طريقتها في التعامل مع الشرق ، فأصدر مجمع فيينا الكنسي قرارا بإنشاء كراسي لدراسة اللغة العربية والعبرية والسريانية في عدد من المدن الأوروبية، مثل: باريس واكسفورد وغيرها في سنة ١٢٨٥[١]وجاءت الإرساليات تترا إلى الشرق ... كل ذلك لمعرفة مصادر القوة في الشعوب الإسلامية .

١- الأدب العربي الحديث ومدارسه، د. محمد عبد المنعم خفاجي، صـ ٣٢٢، بيروت، دار الجيل.

المبحث الثاني
دوافع الاستشراق ووسائل التواصل
القديمة والحديثة

لم يظهر الاستشراق ويستشري فجأة ، بل سبقه إعداد محكم قام عليه دارسون غربيون فاهمون وواعون لأهدافهم؛ وقد زعموا أنهم ينطلقون من غايات نبيلة مثل: محاولة الكشف عن الحضارات الشرقية ، ودراسة الأرض والإنسان واللغة الشرقية بمنهج علمي، لكنهم خبئوا تحت ذلك أهدافا أخرى لايمكن تجاهلها، منها ما يتعلق بعقائد الشرق ، ومنها ما يتعلق بالرغبة الملحة في الهيمنة على مقدرات البلاد، والاستحواذ على ما يزخر به كنوز طبيعية ..... إلخ ودعنا نحاول النظر في ذلك على مَهَل .

لا يمكن تجاهل الدافع الأساسي في الاستشراق والذي قد يستتر تارة ويظهر تارات ، لكنه في جميع الأوقات يعلن عن نفسه حين ترى النتائج التي تنتجها البعثات ، أو ترى الخدمات التي يحملها العلماء الغربيون لقادتهم السياسيين ، وهذا أمر لا يحتاج في تتبعه إلى جهد كبير ، كما أن الغرب لم يستطع مداراته ، لأنه أظهر من أن يُستر ، كما أنه ممتد الجذور إلى القرن الأول الهجري ، حين هزم المسلمون الفرس والروم، وفتحوا بلدانهم ، ثم واصلوا الفتوحات حتى وصلوا إلى أوروبا واستقروا فيها، فانبهر الأوربيون بتلك القوى التي مكنت هؤلاء البسطاء من إزالة الإمبراطوريتين، وظهر تصدرهم للمشهد العالمي، مما كان سببا قويا في إعداد العدة للمواجهة على كافة المستويات .

يقول (رينان) معلناً بشكل لا يصدق عن كراهيته وحقده: (أنا المعروف بوداعتي مع جميع الناس والذي أعاتب نفسي على عدم كرهي الشر

أعلن أني لست أشفق على الإسلام وإني أتمنى للإسلام الموت المخزي أتمنى إذلاله"[١]

ويقول: "إن الشرط الضروري الوحيد في عصرنا الحاضر لنشر الحضارة الأوروبية هو تحطيم العنصر السامي، .. تحطيم القوة الثيوقراطية للإسلام، وبالتالي تحطيم الإسلام نفسه ثم حرب لا تتوقف ولن تتوقف إلا حينما يموت آخر ولد من ذرية إسماعيل بؤسًا أو أن يدفعه الإرهاب إلى أعماق الصحراء" [٢].

ولقد توارى الغرب خلف السياسة حينما انحسرت الحروب ، فأنشؤوا سفارات لهم ليتواصلوا مع ذوي الشأن من أهل الفكر والسياسة والفن والاجتماع، وزوِّدت تلك السفارات بعلماء متقنين للغة العربية؛ ليمدوها بكل ما هو قيم ومفيد من دراسات وأحداث يمكنها من السيطرة على مقدرات الدول "وعملوا على بث الفرقة بين البلدان، وإثارة القلاقل والفتن والترويج لما يريدون محاربته[٣].

كما أن الصراع بين القيم والأخلاق الشرقية، والعادات والمواضعات الغربية صراع لن ينتهي، لأن الشرق يؤمن بمجموعة من القيم المنبثقة عن معتقدات مستمدة من الدين والتاريخ والحضارة، وهي بالضرورة تخالف المعتقدات الغربية، والقيم والأخلاق الغربية، ولا يمكن أن يحيد أهل الشرق عن عاداتهم، كما أنه لا يمكن للغربيين أن يستبدلوا أيدلوجياتهم بغيرها، فالنظام الأسري، وتكوين العلاقات المختلفة مع الغير، والنظر إلى الكون والحياة ،...

١، لغات الفردوس، أوليندر ت: جورج سليمان، المنظمة العربية للترجمة، صـ١٥٥، ط١، ٢٠٠٧.

٢- التأويل الحداثي للتراث التقنيات الاستمدادات، د إبراهيم سكران دار الحضارة، ط١، ٢٠١٤ صـ ٢٤، بتصرف.

٣الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم، د. مصطفى السباعي، صـ ٢٠، بتصرف، دار البيان، الكويت، ط١٩٦٨،١.

وغير ذلك يختلف بلا شك بين الفريقين ، ولايمكن إخضاع أحدهما للآخر، مما يستوجب نشوء صراع أيدلوجي ، تكتب الغلبة فيه للقوي ، وبخاصة أن الغرب يرى في الأيدلوجيا الشرقية تخلفا يجب تغييره ، ويزعم أن ذلك لمصلحته، ولا مانع من أن يغلف كل ذلك بدعوى الديمقراطية والحرية . وقد بهرهم سرعة التواصل بين البلاد المسلمة من أقصاها إلى أدناها وارجعوا ذلك لتوحد اللغة "**وأخذ جماعة من الغربيين يعكفون على لغات الشرق وتاريخه ودينه دراسة وبحثًا وتحقيقًا لينفذوا في ضوء ذلك إلى الغاية التي عملوا من أجلها**"[١] **تلك الغاية التى ترد الهدوء والاستقرار إلى نفوسهم آلا وهى " إنشاء عقلية عامة تحتقر كل مقومات الحياة الإسلامية بل الشرقية وإبعاد العناصر التى تمثل الثقافة الإسلامية عن مركز التوجيه "**(٢)

فالدوافع الأيديولوجية أوالفكرية أحد وأقوى طرق الاستعمار إذ تشعبت أدواته واتسمت بالطواعية والتغيير لتحقيق الأهداف، وقد استخدمها لينتصر في صراعه الموهوم مع الشرق، إذ الدافع الإيديولوجي "لا يهدأ ولا يستكين، وهي سنة الحياة المطردة تعمل على وضع الشخص في صراع فكري دائم حتى مع نفسه، وأخيه، وصديقه، وعدوه، وعشيرته، فضلاً عن صراعه مع مجتمعه ولربما مع العالم بأسره"[٣].وهو ما يفسر لنا سر اهتمامه باللغة والأدب العربى باعتبار إن " المرء لا يستطيع أن يعرف حقيقة عدوه إلا بعد تمام معرفته بحقيقة كلمته أى لغته ، وهو أيضًا إذا ما وقع تحت سلطان كلمة عدوه فقد وقع في آسره الذي لا فكاك منه إلا أن يحتفظ بجذوة العداوة حية تتوقد ... ثم يضيف .. أن تكون حضارة "الكلمة " وثقافتها وآدابها وفلسفتها قادرة في مد

---

١ المستشرقون والإسلام، حسين الهراوي، صـ ١١، مطبعة المنار، القاهرة ١٩٣٦.

٢ الإسلام فى وجه التغريب مخططات التبشير الآستشراق د أنور الجندى صـ ١٣٧ ، دار الاعتصام

٣ فلسفة الاستشراق، صـ ٥٠.

تاريخها الماضي وتاريخها الآتي على أن تقوم في وجه حضارة " كلمة " العدو وثقافته وآدابه([1])

والذي يتابع هذا الصراع قد يغض الطرف عن صنيع المستشرقين ، وقد يجد سببا مقنعا في التأثير والتأثر بين الحضارتين ، لأن من سنة التعايش بين الشعوب ، أن يأخذ كل منها من الآخر ويدع ، وأن تكون المصلحة الحياتية هي المسيطرة على الشعوب ....، لكن الذي لايمكن غفرانه ، ولا يستطيع الشرق تجاوزه أو غض الطرف عنه هو الصراع الديني ، فالمستشرقون يضربون في عمق المعتقدات الدينية للشرق ، وبخاصة في الإسلام ، ويظن المستشرقون أن ما جرى عندهم يمكن تطبيقه على بلاد الشرق ، فيما يخص الدين ورجال الدين ... ولتوضيح ذلك أذكر مثالا واحدا ، وهو قراءتهم للقرآن الكريم .

لقد كانت قراءة المستشرقين لكتاب الله تعالى قراءة مجزأة ، مما ساهم في رسم صورة مشوهة عن الإسلام ورسول الإسلام ، وزعموا أنه تلقى أفكاره من ورقة بن نوفل ، وأنه أخذ عنه الرسالة ، ولقد صور القرآن الكريم هذا الأمر فقال: {وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ} [النحل: ١٠٣] وقوله أيضا: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا} [الفرقان: ٤] فليس من قبيل المصادفة أن يحاول المستشرقون هدم رسالة النبي من أساسها من خلال الزعم بأنه أخذها من ورقة بن نوفل .

---

١ أباطيل وأسمار ، محمود محمد شاكر، ج٢،صـ٥٦١، ١٩٧٢

طرق التواصل

استخدم الغرب عدة طرق لإحداث التواصل بين الحضارتين ، وكان من أهمها فتح المكتبات العامة والخاصة للإفادة منها أمام جميع العلماء والباحثين عن طيب خاطر، وقد تحدث

(كراتشكوفسكي) عن ذلك فقال : (وكل مكتبة سواء أكانت كبيرة أم صغيرة، غنية أم متواضعة، كان لها طابعها الخاص، إلا أنها جميعها كانت تقابل بترحيب زوارها الجدد، وتكشف لهم كنوزها بسعادة وطيب خاطر)([1]) وقد كانت هناك وسائل لتواصل الغرب بالشرق منها وسائل قديمة وأخرى حديثة

١- وسائل التواصل القديمة

١- تحقيق المخطوطات:

اهتم العرب الأوائل بتسجيل خواطرهم وحفظ تاريخهم وأمجادهم، لذا حرصوا على تسجيل الإبداع الذي توافد إليهم، والممتد جذوره إلى العصر الجاهلي، ونتيجة للنشاط الحضاري في العصر العباسي كان النساخ ينسخون من المخطوطة الواحدة أكثر من نسخة؛ وقد يضيفون أو يحذفون، لذا أحيانا ما يوجد اختلاف بين النسخ، وكانت النسخ توزع على الأمصار ويحرص الملوك على اقتنائها والمفاخرة بوجودها في مكتباتهم ، وبلغ تجميع المخطوطات أوجه في العصر الذهبي في مكتبة المأمون بفهارسها الأربعين ألفا، لذا شغف الأوربيون[٢] بالمخطوطات شراء ، واقتراضًا وسرقة، فقد أغاروا على المخطوطات العربية، حتى المكتبات العامة كانت "تعاني الفوضى وينقلونها إلى بلادهم ومكتباتهم ، وإذا بأعداد هائلة تنتقل إلى مكتبات أوروبا، وقد بلغت في أوائل القرن التاسع عشر مائتين وخمسين ألف مجلد"[٣].

١- تاريخ الاستعراب الروسي . كراتشكوفسكي . ترجمة فرالونا.

٢- كما قال د. زقزوق، في كتابه "الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري"، صـ ٦ وما بعدها، بتصرف، طبع الأمة في قطر، ١٩٨٣.

٣الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم، مصطفي السباعي، ١٩، دار الوراق، ب ت.

ولقد كان كثير من هذه المخطوطات في حيازة بسطاء العقول الذين يبيعونها لبائعي الحلوى،وكان المستشرقون يكافئون السفن التي تأتيهم بالمخطوطات أيًّا كانت طريقتهم في الحصول عليها.

وعلى الرغم من تكريس جهود كثيرة –منذ القدم– في تحقيق المخطوطات وفهرستها وإتاحتها للمتعلمين، بل ردها ثانية إلى أصحابها ليفيدوا منها ويتيحوا إعادة تحقيقها، إلا أن المُكْتَشَفْ المحقق منها لم يصل إلى الربع، ولا زال معظمه مهملًا ولم يُستفد منه، بل إن كثيرًا منه أُتلف وخرب عن قصد أو غير قصد[١]

ولاشك أن كثيرا من المخطوطات تعد علامات بارزة في المجال الذي تنتمي إليه، مثل الدواوين الشعرية الكثيرة التي تم تحقيقها من قبل المستشرقين، واستفاد منها أصحاب النهضة القدامى ، ووضعوا أيديهم على محاسنها وفرائدها ... كما أن الكتب التي حظيت بالتحقيق مثل "الآجرومية" لابن آجروم المغربي تم نشرها على يد الهولندي "توماس إرينيوس" باللغة العربية ١٦١٧، واستعان بأربع مخطوطات عربية لتحقيق نص النسخة الأصلية ، ثم ترجمها إلى اللاتينية ترجمة صحيحة جيدة ، وأعان على فهم النص بما زوده به من تعليقات وشروح[٢] **ونشر زترستين** KARL VILHELM ZETTERSTEEN **السويدي ألفية ابن معطي وهي أسبق من ألفية ابن مالك وقد حصل على الدكتوراه عام ١٨٩٥ ثم قام بنشر النص الكامل لكتاب الدرة الألفية في علم العربية لابن عبد المعطي الزواوي تبعًا لمخطوطات برلين والأسكوريال وليدن وذلك في ليبتسك ١٩٠٠، ونشر الألماني ديتريصي ١٩٠٣– ١٨٣١ ألفية ابن مالك ١٨٥١، أما جون بيلي الإيطالي فقد درس**

١ولا ننسى إحراق المتحف المصري إبَّان ٢٠١١ بما فيه من مخطوطات فريدة سرق بعضها وحرق بعضها.

٢موسوعة المستشرقين صـ١٩، بتصرف.

متونـه النحويـة ثـم طبـع كتابًـا يضـم هدايـة النحـو للغزنـوي، الكافيـة لابـن الحاجب، وأوضح... "هذه مجموعة الكتب المتداولة لدرس النحو وقد تعمدت تصحيحها وصونها عن الغلط والسهو"[١].

٢- تأليف الكتب:

لا شك أن مطالعة المخطوطات على موسوعيتها يمدُّ القارئ بمذخور مختـزن يتفاعـل فيمـا بعـد مـع ثقافتـه ومعارفـه ، فينـتج عنـه مؤلفـات اتسـعت موضـوعاتها لتشـمل التـاريخ والحضـارة والسياسـة، ولكـن ظـل للإبـداع الأدبـي بشقيه المنظوم والمنثور خصوصية التطوير ؛ لذلك اعترف المستشرقون لهذا الإبداع بالريادة ، وانهالت المؤلفات والفهارس والتراجم على الساحة ، وتلقفها الشرق والغرب على السواء ....

وقـد ألـف ويليـام رايـت William wright كتـاب النحـو العربيARAABIC GRAMMAR، وهو من أوسع متون اللغة العربية في اللغات الأوربية،... وفي عام ١٨٩٠ ألف كتابه محاضرات في النحو المقارن للغـات السـامية LECTURES ON THE CONPARATIVE GRAMMAR OF THE SEMETIE LANGUAGES ثم توالت المؤلفات من لاجاردLAGARDE وبارت BARTH....

وكـذلك كـان هنـاك كتـاب ضـخم فـي النحـو المقـارن للغـات السامية" GRAMMATIK DER SEMITISCHEN PRACHEN ويقـع فـي جـزئين الأول دراسـات عـن أصـوات اللغـات السـامية وأبنيـة الأسـماء والأفعال فيها ، وقد نشر في برلين ١٩٠٨،والثاني دراسة الجملة في اللغات السامية وموضوعاته جديدة لم يُسبق إليها [٢].

---

١ موسوعة المستشرقين، ٤٧٥.

٢المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبد التواب، ٢٠٣ بتصرف، مكتبة الخانجي، القاهرة،ط ٣، ١٩٩٧.

وقد ظهرت دائرة المعارف الإسلامية، والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، الذي أعده مجموعة من المستشرقين عن الكتب الستة ، وعن مسند الدارمي، وموطأ مالك، ومسند أحمد بن حنبل، وقد طبع في سبعة مجلدات من القطع الكبير.

وكان لتاريخ الأدب العربي الذي ألفه بروكلمان في خمس مجلدات، حوت ثمانية عشر جزءًا شهرة واسعة، وصيت عظيم لما حوى من أفكار وآراء ظلت في حالة تحديث بالإضافة والحذف والتعليقات ، حتى إن الإضافات بلغت ملحقين كبيرين أضيفا إلى أصل الكتاب، وطبع في جزئين....

والملاحظ أن الاهتمام الغربي بالأدب العربي لم يفتر حتى اليوم، ففهم الأدب يمتد لفهم الشخصية التي أنتجته .. لذلك لقي الأدب العربي رعاية وعناية كبيرة من المستشرقين ، فدراسة المنجز تؤدي إلى فهم الناجز والوقوف على عقله وفكره، ومخاطبته بلغته ثم تسخيره للخدمة.

ويعد نولدكه(1836- 1930) NOLDEKE THEODOR شيخ المستشرقين وقد أصدر كتابه الشهير في القواعد العربية ZUR GRAMMATIK DES DES KLASSISEHEN ARABISCH والكتاب مليء بالنصوص الشعرية مما يدل على توافر مادة علمية عربية غزيرة نتيجة لتحقيقاته ودراساته العميقة[1] وألف "فيشر" (نحو اللغة العربية الكلاسيكية) ط فيسبادن ١٩٧٢GRAMMATIK DES KLASSICHEN ARABISCH، وظِل بروكلمان عليه واضح لكنه أكثر تفصيلاً، وكذلك لاقت مؤلفات كسباري شهرة واسعة في القرن التاسع عشر١٨٤٨ حتى عُدَّ كتابه في النحو العربي من أكثر الكتب استيعابا لقواعد اللغة العربية . وهذه الكتب تعد المراجع الرئيسة في جميع أقسام الدراسات العربية في الجامعات الغربية، إذ قدمت

١أسس اللغة العربية الفصحى، د. فالح العجمي، ص١٢، بتصرف، مطابع التقنية، ٢٠٠١، بتصرف.

المتن المدرسي للغة العربية في أوربا، لكن كتاب كسباري وسط بين كتاب إيفالد العميق، وكتاب دي ساسي المبسط " [١].

كذلك هناك جوادنيولي الإيطإلي الذي ألف المبادئ المختصرة في اللغة العربية ١٦٤٢ إذ توسع فيه في النحو والصرف وأضاف العروض والقوافي[٢] إضافة إلى مؤلفات إرينيوسARRHE NIUS AUGUST **الهولندي إذ ألف "النحو العربي" وألف ستانسلاس جويار** STANISLAS GUYARD 1846-1884 **"بحثًا في تكوين جمع التكسير في اللغة العربية" ١٨٧٠، ثم نشر كتابًا في علم العروض العربي ١٨٧٧، وألف الإسباني** CANES (1730 -1795) **قاموسًا عربيًا وكتابًا في النحو العربي العامي والفصيح[٣].**

ثم توالت كتب المستشرقين في الفلسفة والآداب والمسرح والسياسة مما أثرى وأثَّر في الشرق والغرب على السواء، حتى وصلت مؤلفاتهم إلى عدة ألوف لها قيمتها وأهميتها.

٣- التدريس الجامعي:

بعد أن سيطر الغرب على ما يستطيعون من مخطوطات أعانتهم على توليد أفكارٍ؛ اتسمت بالجدة عمدوا إلى التأليف، ونشر مؤلفاتهم عن المشرق ، وإتاحتها للغرب والشرق ثم جمحوا إلى اللقاء المباشر ، وتلاقى الآخذ والمعطي، فانتشر المستشرقون سواء كانوا وافدين لجامعات المشرق؛ أو متلقفين للمشارقة القادمين إلى بلاد الغرب للتعلم، وانصب تدريسهم على الكتب التي ألفوها ، والاستنتاجات التي توصلوا إليها ، وأنشأوا ما يسمى بكراسي الأستاذية في الجامعات، واستحدثوا دراسات شرقية في المعاهد الخاصة

١المرجع السابق، ١٢ وما بعدها بتصرف.

٢ موسوعة المستشرقين، ٣٣٨.

٣ المرجع السابق، صـ٤٥٩ وما بعدها بتصرف.

بالمستشرقين،أو التي قد يقبل عليها أهل المشرق ممن أتقن اللغات الأخرى، وزادوا على ذلك أنهم أكثروا من إقامة الندوات والمؤتمرات، وكان الهدف من وراء كل ذلك هو بث الأفكار والآراء التي تخدم ما يعتقدونه من وجوب السيطرة على المجتمعات الشرقية .

ولا شك أن التقدم الغربي في التقنيين ووضع الحدود للعلوم والمعارف لفت نظر الشرقيين فأقبلوا على المؤلفات الغربية ، ليس من الشام ومصر فقط بل كانوا يوفدون النوابغ ليتلقفوا تلك العلوم الغربية كما هو معروف. ومنهم شارل بلا CHARLES PELLA ١٩١٤-١٩٩٣. **وقد قام بتدريس اللغة العربية في مدرسة اللغات الشرقية، وأصدر نحو اللغة العربية وفي آدابها، و كتاب اللغة والأدب العربيان باريس ١٩٥٢، مدخل إلى اللغة العربية الحديثة باريس ١٩٧٤ في ٢٥٠ صفحة**[١].

سلفستر دي ساسي SELVASTER DE SASE ١٧٥٨-١٨٣٨ **قد أدخل الدراسات الإسلامية واللغة العربية إلى الجامعات الفرنسية، ومن آثاره كتابه (النحو العربي) الذي أصدره ١٨١٠.(الصرف النحو الشعر النثر)ولم يك لهم شأن بالقضايا الدينية والإسلامية** ومن ثم ظهر فى هذا القرن الاستشراق ذو الصبغة العلمانية ([٢]) وقد أقام دي ساسي علاقة ثقافية مهمة بينه وبين رفاعة الطهطاوي ، تبادل على إثرها مكاتبات ثقافية ذات قيمة عالية ، يقول فيها واصفا كتاب " تلخيص الإبريز " للطهطاوي : (وعبارة هذا الكتاب في الغالب واضحة ، غير متكلف فيها التنميق ...) وكان رفاعة من قبل قد عقب على أسلوب دي ساسى العربي حين قال تعليقًا على مقدمته لمقامات الحريري " وقلم عبارته بليغ وإن كان به يسير من الركاكة ، وسبب

١ موسوعة المستشرقين، د. عبد الرحمن بدوي، ص ١١٨، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٤.

٢الاستشراق والدراسات الإسلامية لدى الغربيين ، ت محمد حسن رماني ، ت محمد نور الدين عبد المنعم صـ ٢٤٣ ، المركز القومي للترجمة ٢٠١٩

ذلك أنه تمكن من قواعد الألسن الأفرنجية ، فلذلك مالت إليها عبارته في العربية ... فقد جمع دي ساسي مادة غزيرة حول العربية وآدابها وحضارتها ، أثرت في حياته وحياة الأجيال اللاحقة له في مجالات البحث المتشعبة حولها .. مما مهد الطريق فيما بعد لرينان (١٨٢٣-١٨٩٢) وكارليل عن البطولة والأبطال .

ومن مقدمة دى ساسي: "بسم الله المبديء المعيد ، والحمد لله العالي المتعالي ، الذي له الأسماء الحسنى ولا يخالط صفاته عز وجل من صفات المخلوق شيء أقصى ولا أدنى... العليم الذي ليس لعلمه نهاية ، والحكم الحكيم الذي حكمه وحكمته وراء كل هدف وغاية ... أما بعد :

فإني لما رأيت كتاب (مقامات الحريري) لم يزل مذ ألف إلي يومنا هذا لعلم الأدب كالعلم المشهور ، يحسبه الخاصة والعامة واسطة عقده وخلاصة نقده ، ويعتقدونه نور مصباحه وضياء صباحه، بل لا يشك أحد منهم أن ثمار بستانه وأثمار جنانه وزلال مائه ونسيم هوائه ، أحببت أن أشرحه متوسط بين الإيجاز والتطويل ... إلخ" (١)

ودي ساسي يعالج موضوع قديم ملتزم السجع ؛ بأسلوب جديد عصري حاول أن تكون لغته معاصرة ونجح إلى حد كبير ، ففقراته ليست مسجوعه ، وكلامه مسترسل يكاد يخلو من الخيال والزخارف ...

٤- الترجمة:

كان للترجمة دور كبير في اطلاع المشرقيين على أسرار الإبداع في التراث العربي وكانت الكتب المترجمة مصدرا من مصادر المعرفة التي لا يستغني عنها أهل المشرق ، بل كانت هذه الكتب المترجمة أحد وسائل التقارب بين الشعوب ، ولا تخلو هذه الكتب المترجمة من أمور عدها

١الاستشراق الفرنسي والأدب العربي أحمد درويش صـ ٣٩- ٤٣ بتصرف ، دار غريب للطباعة، ٢٠٠٤

المتخصصون معول هدم ، وليست لبنات بناء ، فمثلا في كتاب (ألف ليلة وليلة) يرى البعض أنه كتاب يصوِّر المجتمع العربي على أنه مكان للهو والفساد ،وكانت عنايتهم به فائقة حتى أنهم خصصوا لها خمسًا وثلاثين صفحة في دائرة المعارف الإسلامية، وجندوا أقلامهم لعرضها وتقديمها على أنها مرآة الحياة العربية[١].

كذلك كتاب كليلة ودمنة الذي ترجم إلى الفرنسية ثم أعيد ترجمته إلى العربية مع إضافات، وقد توغل المستشرقون في التراجم حتى إنهم ترجموا الكتب الإغريقية مثل فن الشعر لأرسطو...وتاريخ الطبري، ومروج الذهب للمسعودي، وتاريخ المماليك للمقريزي، ودواوين العديد من الشعراء ، **كذلك قام الفرنسيان دي ساسي** DE SACY **(١٨٣٨-١٧٥٨) بترجمة وشرح ألفية ابن مالك (٦٧٢هـ) في العام ١٨٦٣م[٢]، وتلميذه برينيه** BRESNIER 1814-1869 **قام بترجمة الآجرومية لمحمد بن داود الصنهاجي (ت ٧٢٣) مع شرح كلماتها باللغة العربية، إرينيوس ترجم كتاب الآجرومية إلى اللاتينية ودعمها بشرح وتعليق ولمحات مقارنة إذ كان يذكر نظائر المصطلحات النحوية العربية من المصطلحات اللاتينية، وعني المستشرق ديتريصي بترجمة ابن عقيل إلى الألمانية ١٨٥٢[٣].**

وترجم المستشرق أنطونيوس الأكولاني كتاب "مبادئ اللغة العربية" وزودها بشروح واعية، وقام ويليام رايت William wright **(١٨٣٠-١٨٨٩) بترجمة كتاب قواعد اللغة العربية لكاسبري إلى الإنجليزية لمن يريد الاطلاع ولا يجيد اللاتينية ولا الألمانية** AGRAMMAR OF THE

١المستشرقون والتراث، ص١٩-٢١، بتصرف،، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع،ط ٣، ١٩٩٢-١٤١٣المنصورة.

٢ المستشرقون، العقيقي، ج ١ صـ ١٧٩-١٨٢، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٤.

٣ موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي بيروت، ٥٥، ٢٦٧، بتصرف، دار العلم للملايين، ١٩٨٤.

ARABIC LANGUAGE 1859[1]، **وكتابه "كتاب النحو العربي" وقد تأثر فيه بالتقسيمات العربية والدرس اللغوي والميزان الصرفي إلا أنه استعان بالتقسيم الغربي في أقسام الكلام في محاولة للتخفيف من المصطلح النحوي**[2]. إضافة إلى مئات الكتب في الأدب والتاريخ والعلوم الإسلامية .

٥- المؤتمرات والندوات والمجلات:

تعتبر المؤتمرات ، والندوات ، والمجلات إحدى وسائل التواصل بين الشرق ، والغرب ، ولقد كان أول مؤتمر دولي للمستشرقين في باريس عام ١٨٧٣م ، ثم توالت المؤتمرات في بلدان مختلفة في أوربا ،وكان المستشرقون يلتقون مع أهل المشرق من المهتمين بالقضايا المشتركة، يتبادلون الأفكار والآراء التي يتم طرحها على مائدة البحث، ثم يعاد نشرها بعد معاودة النظر فيها، ومن هذه المجلات: (مجلة الإسلام) التي صدرت في باريس، ومجلة (ينابيع الشرق) وقد صدرت في فيينا، ومجلة (العالم الإسلامي) وصدرت في بريطانيا....إلخ

وكان الدين الإسلامي هو المادة الخصبة التي دارت حولها تلك الأبحاث، وأصدرت تلك المجلات ، وفي العصر الحديث صار التواصل أسرع وأكثر فاعلية؛ فالشبكة العنكبوتية تُطْلع من في أقصى الشرق على أحداث أقصى الغرب في التو واللحظة صوتًا وصورةً؛ مما يسّر الاختلاط والدمج في ثوان معدودة.

والذي لا بد أن أنبه عليه هنا أن المستشرقين قد استثمروا هذه الفرصة وتوجهوا صوب الشرق يلتمسون الالتحام معه؛ ليفهموه ويعوا خواص تكوينه، سواء أكان التواصل مباشرًا أم غير مباشر، مما يدل على إدراكهم قيمة

---

١ أسس اللغة العربية الفصحى، د فالح العجمي، صـ ١٢ ، الرياض مطابع التقنية، ، ٢٠٠١.

٢ المستشرقون والمناهج اللغوية، ص٩٤، أحمد إسماعيل عمايرة، ١٩٩٢.

المشرق وأهميته ، فالإنسان لا يبذل جهدًا للالتحام بمن لا قيمة له ، ولا يحرص على التعامل مع محدودي الفائدة . واليوم طغت الأعمال الغربية على الشاشة العنكبوتية سواء أكان موضوعها الشرق أم كان موضوعها الغرب مما يدل على توجه الغرب لنشر ثقافتهم المنضوية على آرائهم فى الشرق وأهله والتى يتوارى فيها طمعهم وحرصهم على بسط نفوذهم على المشرق والاستحواذ عليه .

ب- وسائل التواصل الحديثة

الاستعمار – التبشير –الاستشراق

استلفت الشرق الإسلامي بحضارته نظر الغرب فناصبوه العداء ، واتخذوا طرقًا عدة للحيلولة دون انتشاره وعمدوا إلى (الاستعمار – التبشير – الاستشراق) لينزعوا عن المسلمين تميزهم بإسلامهم الذي أدان لهم العالم وقفز بهم من رعاية الغنم إلي قيادة الأمم ، وهاجموا الإسلام وحاولوا تحجيم دوره في دور لاهوتي تعبدى كالمسيحية ، كذلك عملوا على تقليص نفوذه من التوجيه والقيادة إلى حصره في المساجد واللجوء إليه في الملمات ، فقد أدركوا أن قوة المسلمين وجسارتهم تكمن في خضوعهم الكامل للإسلام رسالة ، وتوجيه رسوله والتزام أوامره واجتناب نواهيه.

ا- الاستعمار: اتخذ الاستعمار أشكال شتى استعمار مادى من الاستحواذ على بلد ما ، أو معنوى من بسط نفوذ ثقافي وتوجه فكري والعمل على نشره فى بقاع زاد احتياجها عن انتاجها،وقد شاعت الطرق الثلاثة ، وأجمعت آراء عدة توضح تبني الغرب للمنتخبات الثلاثة واختيار ما يلائم كل بلد وتوجهاته من هذه الأقوال (١) " دعى لويس ماسنيون إلى السيطرة على الطلاب

١ جمع د أنور الجندي فى كتابه " الإسلام في وجه التغريب مخططات التبشير والاستشراق .. عدة آراء لغربيين تميط اللثام عن عدائهم الشديد للشرق المسلم والإسلام ، وتوضيح طرائق ومناهج تبنوها في محاولة للقضاء عليه وتحجيم اللتفات حوله..

المسلمين المغاربة ومحاولة صياغتهم صياغة غربية، بينما هنرى دى كاستري دعى إلى جذب العرب لشرب الخمر وقال "كويت" إن الكثيرين شبوا على كراهية الإسلام بل رضعوا ذلك مع لبن أمهاتهن ، وكان هناك منصفون صرحوا بالرأي الموجه ، يقول روم لاندو " إن الصهيونية تقف وراء محاربة أي إنصاف للمسلمين ، لذا حرص الكثيرون عن البعد عن الكلام عن الإسلام لكي لا تتعطل مؤلفاتهم ، ونفى "جب" عن المؤلفات الغربية الإنصاف ، وقال إن الجزء الأكبر من مؤلفات الغربيين عن الإسلام قد صدر عن أولئك الذين يتحكم في تفكيرهم كراهية الإسلام والحقد عليه ..

لكن السؤال عن علة هذا التواصل، هل كان التواصل لتحصيل المنفعة العلمية؟ أم كان لأسباب أخرى؟ الذي يظهر أن كثيرا من تصريحات المستشرقين تدور حول أغراض خبيثة ،لا تمت إلى العلم بصلة، **ولاحظ أحد الغربيين " لويس ما سينيون أن العرب أدركوا ذلك وأنهم فطنوا إلي كراهيتهم ولم تعد مدنية الغرب تلفت أنظارهم وأن العرب سئموا الخيرية:**" لقد دمرنا كل ماهو خاص بهم .. دمرنا فلسفتهم، ولغاتهم، وأدباءهم،... والمسلمون ليسوا من السذاجة حتى يعتقدوا بكرم أخلاقنا، وقد تحققوا بالشواهد أننا نرغب في أن نبقيهم ضعفاء"([1])

ولقد حاول الغرب الوصول إلي بغيته عن طريق :

١- تفتيت العالم الإسلامي باستبدال الوحدة "بالقومية المحدودة"، ومن ثم انفصلت الوطنية عن الدين وانفصل التعليم العصري عن التعليم الإسلامي وظهرت دعوات الفرعونية والأشورية والبابلية الفينيقية والبربرية([2]).

١الإسلام فى وجه التغريب ١٣٨- ١٣٩

٢الفكر العربي المعاصر د أنور الجندي صـ ٤ بتصرف ، دار الإعتصام للطبع والنشر

٢- القضاء على مناهج حياة المسلمين الفكرية وتوجههم الثقافي ، ونظمهم المجتمعية التى حددها الإسلام ورسم صغيرها وكبيرها بما يحقق سعادة الإنسان .

٣- الدعوات الإقليمية مثل : (الفرعونية - الفينيقية)

فهناك ما يجمع بين الاستعمار والاستشراق : إذ ظل هدف الاستشراق والاستعمار واحدًا لفترة طويلة من الزمن وإذا كان الأول سبق الثاني ليكون طلائع وأعين أمنه يصيب أهدافه ، ويحقق أماله نما عليه إلا أنه يبدأ بالتشكيك فى قيم الشعوب المغلوبة والسخرية منها ومن دينها وشخصية نبيها عليه الصلاة والسلام ، وهدم الإسلام فكريًا وحضاريًا ، وعلى الثاني أن يقوم بتنفيذ ذلك الحكم واقعيًا وعمليًا ([1])

وعلى الرغم من وضوح ذلك إلا أن من المفكرين من نص على أنَّ ثمة رغبة خبيثة تقف وراءه " بعد هزيمة أوروبا فى الحروب الصليبية اتجهت إلى دراسة البلاد الإسلامية من نواح شتى فكرية عقدية اجتماعية جغرافية تاريخية رغبة فى إضعاف المقاومة الروحية والمعنوية فى نفوس المسلمين وبث الوهن والإرتباك فى التفكير " ([2])

فالاستعمار استمر إذ لم يتم الجلاء العسكري عن البلاد المستعمرة " إلا وقد حقق أكبر أهدافه فى فرض نفوذ دائم مستمر لن ينقطع مع هذه الوحدات التى استعمرها طويلاً هذا النفوذ الفكري والثقافي ([3]) لم ينسحب الاستعمار إلا بعد أن أحكم قبضته على مجال التربية والتعليم والثقافة فتلقفت الشيء

---

١ فلسفة الاستشراق صـ ١٢٠

٢ أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها التبشير الاستشراق الاستعمار دراسة وتحليل وتوجيه عبد ارحمن حسن حنبكة صـ١٢٧-١٢٨، دارة القلم ١٤٠٥، ، ط٤

٣ المرجع السابق ١٢٩

الجديد وزرع في عقله إنه " لا يستطيع أن يشق طريقه فى الحياة إلا أن يكون تابعًا لهذا الغرب مصادقًا لهذه الحضارة عبدًا لهذا النفوذ " (١)
بحيث يشب منبهرًا بالغرب ، يحلم به ، يتشبع بفكرة التبعية له ، لإنهم هم أصحاب المدنية الإنسانية فتتلاشى عنده فكرة حب الوطن أو الغيرة على الدين أو التعلق بالأمة وتقدير تاريخها ولغتها ، وهم لم يكتفوا بإنشاء مدارس تزرع تلك الأفكار لإن الإقبال عليها سيرتبط بالمصروفات – لمصروفاتها الباهظة – فأرسلوا معلميهم إلى المدارس والجامعات يبثوا ذلك الفهم السقيم ، وفي مجال الثقافة سيطروا على الأقلام والجرائد والقصص والمسرحيات التى تدعوا إلى التحلل الخلقي والإنحلال الأخلاقي وتبني فكرة " إن الكتب مصدر الشقاء والمرض فأنشأ الغرب جيلًا خالي الوفاض من القيم مرحِب بالغرب ومنهجه المحارب للآداب وبذلك امتد بقاء الاستعمار بفكره بعد انحساره بجنوده وأصبح بقاؤه متقبلًا شرعيًا ، له من يدفع عنه ،وليس خصمًا دخيلا كونت الجبهات لمحاربته ومقاومته (٢)

ب **التبشير والتغريب،** اهتم الإثنان بدعم الأقليات وإغرائها بإثارة النعرات الإنفصالية .والتشجيع عليها فى الواقع وتفخيمها فيى الخيال ونلاحظ أن **الاستشراق والتبشير: شكلان من أشكال السطو والسيطرة على المجتمع العربي ، وإن كان الاستشراق عاد بنفع بين على الشرق المسلم ، إلا أن مسيو تالتيه رأى: إن الغرض من التبشير قتل الإسلام لا استعباد المسلمين. وقد ساهم التبشير فى استقطاب الكثيرين ولا سيما إن هناك من عمل أولاً فى مجال الاستشراق فجمع معلومات استفاد منها التبشير والمبشرين " إذ كانت " كتابتهم وقودًا حقًا في أيدي زيهمر وأصحابه ومن هؤلاء مرجليوث ،ماسنيون، هنرى لامشى ، لويس شيخو ، فنستك ،جولد زيهمر وهو من**

---

١ المرجع نفسه ١٢٩

٢ الإسلام فى وجه التغريب١٢٩–١٣٠

أشد المستشرقين تعصبًا على الإسلام واللغة العربية ([1]) وقد رأى د أنور الجندى " أن يوصف الاستشراق بإنه المصنع والتبشير بإنه المصدر أو الموزع للشيء الذي يصنعه الاستشراق "...ويضيف .. كانت معطياته وملتقطاته (مادة) خام يستطيع التبشير استعمالها فى دعم خططه وفى إثارة عوامل الخلاف وتأريث الشبهات بما يحقق خططه([2]) ، ويرى د الجندى إن الاستشراق والتبشير مضيا فى تحقيق أهدافهما من تمزيق وحدة المسلمين ومحاولة انتزاعهم من نور الإسلام ؛ وبذرهم فى ظلام الكفر، رغمًا عن إنه قال إن الإستشراق أنواع " بعضه متصل بالنفوذ الاستعماري، وبعضه متصل بالثقافات الغربية المسيحية بعضه نزيه وبعضه متعصب "

وأرى إن الواقع الذي دعمه كر السنين أثبت إن النشاط الذي قام به أقلية من المستشرقين كان له مردودًا إيجابيًا ملموسًا عن المتحول الذي التزمه أكثرية من المستشرقين إذ عمدوا إلي تحقيق مخطوطات ونشر رسايل ودواوين ، وأرى إنه لا حكم لنا على نياتهم الموجهة بقدر الإعتراف بالمردود الإيجابي لمنهجهم فى التفاعل معها وفهرستها ونشرها وإتاحتها للراغبين .

وبذلك نرى إن وسائل الاستشراق والاهتمام بالمجتمع العربي لم يقتصر على وسيلة واحدة وإنما نوع فى أساليبه ، إذ عمد الاستشراق بعد أن استوعب المجتمعات العربية ليقف على سر تفوقها الذي انساب بها إلى اقتحام دياره فوجد إن هناك رابطة تخضع المجتمعات للدين إذ يمم المسلمون الأُول وجههم تلقاء دينهم يتلقفون توجيهه ويلتزمون أوامره ونواهيه مما حفظ المجتمع ، وعمد إلي ثباته وتقدمه فعملوا على تلقى –الجيل – وانتزاع ما زرع فيه من قيم وأخلاقيات..

---

١ الإسلام فى وجه التغريب ١٤٩

٢ المرجع نفسه ، والصفحة نفسها .

وفـى البدايـة اهتمـوا بالسياسـة وحـاولوا النفـوذ والسـيطرة مـن خلالهـا علـى المجتمعات الشرقية لكنهم وجدوا إن الشرق بدأ ينتبه لفعلهم ويتيقظ لبذور الفرقة التـي يحرصـون علـى بـذرها ، فعمـدوا إلـي التخفـى وطـلاء أعمـالهم بالمنهجيـة العلمية ،ووجدوا إن النفوذ وبسط السيطرة عن طريق المجتمـع (بتغير عاداتـه، واختلاق جواذب تتبع ، ونشر ثقافة مغايرة)

فقفـزوا مـن التحـرر إلـي الإلحـاد ، ومـن التحلـل إلـي الإباحـة بعـد أن هيئـوا المجتمـع لإمكانيـة قبـول ذلـك وعـدم معارضـته.من خـلال الوسـائل الأدبيـة المقروءة والمسموعة والمشاهدة.

أما الأهداف التى رغبوا في الوصول إليها من وراء ذلك فهى الانصهار في الأممية ، والتخلي عن الحرص على الفرادة والتميز المستمد من الدين واللغة والتـاريخ ، ويصـير الشـرق المسـلم أفـرادًا فـي القطيـع الغربـي يـدين بـالولاء لـه ويسيطر عليه الانبهار بـه ويحرص على تقليده انطلاقًا من احساسه بالدونية بعد أن تخلـى عمـا يرفعـه آلا وهـو دينـه وقوميتـه تاريخـه وأخلاقـه ، وبالتـالى يسـهل الزحـف الغربـي علـى المجتمعـات الشـرقية فـلا تجـد أى مقاومـة .. فـلا مقومات شخصية ولا صفات ذاتية تثير الاحساس بالرفض. ([1])

سبق الغربُ الشرقَ بإشهار العلوم والدراسات الحديثة، التي تنم عن عقل واعٍ، وفكر مرتب، "فقد قام المستشرقون بممارسة كل وسائل التواصل بالشرق وأهله مـن ترجمـة الكتـب والتـأليف، والتـدريس والنـدوات والمـؤتمرات والنشـر فـي المجلات... وأخطر ما في الأمر أنهم كانوا يستدعون إلى الجامعات العربية والإسلامية ليتحدثوا عن الإسلام... إضافة إلى شرائهم مجلات لدينا ولديهم أُوقفت لبث أفكارهم ورؤاهم، ولا سيما موسوعة "دائرة المعارف الإسلامية" التي أُصدرت بعدة لغات أُستكتب فيها أعداء الإسلام فملؤها بالأباطيل والضلال

١ الإسلام فى وجه التغريب – ١٣٥بتصرف

"وهي موسوعة أكاديمية تعنى بكل ما يتصل بالحضارة الإسلامية سواء من الناحية الدينية أو الثقافية أو العالمية أو الأدبية أو السياسية أو الجغرافية على امتداد العصور بما في ذلك العصر الجاهلي السابق للإسلام"[١]

كذلك وجه نقد كبير لهذه الدائرة " فى هذه الدائرة عيوبًا علمية وتاريخية أهمها إنها لم تكتب لتحقيق المسائل التاريخية والعلمية لذاتها بل لأجل بيان آرائهم وأهوائهم والإعلام بما سبق لهم ولعلمائهم فيها ، بحث وطعن فى كتبهم ورسائلهم [٢] إضافة لما قاله د أنور الجندى من إنها " أصبحت دائرة المعارف الإسلامية حصيلة جامعة مختصرة لكل السموم التى وزعها هؤلاء المستشرقون على مئات من الدراسات " [٣] فالاهتمام الغربي بالشرق المسلم أخذ شكلاً جمعيًا منظمًا ،وقد صدرت باللغات الثلاثة الإنجليزية والفرنسية والألمانية واستمرت من ١٩١٣ –١٩٣٨. وهي مجموعة ضخمة من المباحث تضم كنوزًا من المعارف عن " البلاد العربية الإسلامية وشعوبها وأديانها ولغاتها وأعلامها وأحداثها التاريخية وأحوالها الإجتماعية وأمورها الإقتصادية ومسائلها الفكرية والثقافية والأدبية وغيرها"[٤] وهذا الإهتمام أفاد الشرق بشكل كبير ووفى بمهمته الغربية " مهمة دائرة المعارف أكبر من مهمة الجامعة نفسها فى تكوين الرأي العام لما فيه من الشمول مع العمق والتحقيق مع الترتيب على سهولة فى الأسلوب واللغة لا تجعلها وقفًا على الخواص واشباههم " [٥]

---

١ الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، د. مصطفى السباعي، صـ ٣٣–٣٦، بتصرف، – ويكبيديا الموسوعة الحرة. دائرة المعارف الإسلامية.

٢ سموم الاستشراق والمستشرقين فى العلوم الإسلامية، أنور الجندى، صـ ١٩، مكتبة التراث الإسلامى.

٣ الإسلام فى وجه التغريب مخططات التبشير الاستشراق ٩٣

٤ فلسفة الاستشراق صـ ٥٦٧

٥ المرجع السابق ٥٦٩

وقد حرص الغربيون على أن تطلع فى شكل يغرى بالقراءة والمتابعة لما به من تنوع وثراء لذا فمنهجها يعتبر "مثالًا يحتذى إذ عني أصحابها بتوزيع كتابة مادتها على المتخصصين فيها الذين لهم خبرة طويلة في بحثها وسبر أغوارها ، والنظر إليها وقد اتبع منهجًا أبجديًا فى إخراجها مما يسهل أمر البحث فيها والرجوع إليها ولاستفادة منها([1]) ورغمًا عن تلك الفائدة التى وصفت بها الدائرة إلا أن د زقزوق هاجمها وأرشد إلى ضرورة عمل دائرة أخرى تنظم إبداع علماء المسلمين ، وتوحد جهودهم وتخلص في انتاجها النوايا ليسلم من التكرار ويحققون الهدف ، إذ لا يعقل أن يعتمد العالم الإسلامي على دائرة معارف اصدرها المستشرقون !! وإنشاء الدائرة بأيدى المسلمين ليسد الفراغ " فكل فراغ فكري لدينا لا نشغله بأفكار من عندنا يكون عرضة للإستجابة لأفكار منافية ، وربما معادية لأفكارنا فلا نلومن إلا أنفسنا"([2]) فوجب الانتباه بمعنى نستفيد من إبداعهم واهتمامهم، ونعمل على التعريف بأنفسنا بأنفسنا فكرًا وسلوكًا وآثارًا.

إن التواصل بين الشرق والغرب تأرجح قوة وضعفًا مباشرة، وبواسطة، تبعًا للعصور أو لقوة أوضعف وسائل التواصل...

ففي العصور الوسطى كانت هناك طرق ثلاثة:

- القوافل التجارية الغادية والرائحة بين أوروبا الشرقية والغربية وأسيا عن طريق بحر الخرز أو القسطنطينية.
- الاستعمار الصليبي، إذ عاش الغربيون زمن الاستعمار بين مصر وسوريا، وطالعوا ثقافاتهم وعاينوا نهج حياتهم المتقدم.
- الفتوحات الإسلامية، إضافة إلى الفتوحات الاسلامية فقد وجد المسلمون في الأندلس وصقلية؛ وحرصوا على نشر حضارتهم وتعاملوا بدينهم

---

١ فلسفة الاستشراق ٥٦٨

٢ الاستشراق والخلفية الفكرية لصراع الحضارة دمحمود حمدي زقزوق صـ ١٤٢

العظيم فتفتحت مآقي أوروبا على عادات حسان في الحروب كلبس الدروع والنغم العسكري وفنون الهندسة والعمارة.

وقد أصبغ العرب على الفلسفات ومضاتهم ورؤاهم،" فلما أفاق الغرب من سباتهم وجنوا ثمار الحضارة والطرق المعبدة، فساروا عليها بيسر وجنوا ثمار الحضارة وأنكروا جذورها[١].

ونستطيع أن نقول: إن ذلك اتصال بيئي مجتمعي متسرب غير مقصود، لكن التواصل المعول عليه هو المقصود الاحترافي وهو ممتد الجذور فقد يرجع اهتمام الغربيين بالعلوم العربية المنظم إلى القرن العاشر الميلادي إذ اهتم فردريك الثاني[٢] ملك صقلية ١٣٥٠ ثم ألفونس ملك قشتالة بالعلوم العربية... ومضت القرون الوسطى والثقافة العربية من طب وهندسة وفلسفة وجبر وحساب وكيمياء وصناعة وأدب هي عماد الثقافة الأوربية...وقد تنوعت السبل وتعددت محاولاتهم لبسط النفوذ من خلال أجنحة ماكرة اتفقت فى الهدف واختلفت في السبل ، لكنها كلها التقت في تنفيذ المطلوب من إعمار الغرب وتخريب الشرق.

١ أثر العرب في الحضارة الغربية، عباس محمود العقاد، صـ ٥٥ وما بعدها، نهضة مصر، ٢٠٠٢، بتصرف.

٢ في الأدب الحديث، د. عمر الدسوقي، ج ١، صـ ٣٧٥، دار الفكر العربي، طـ ٨، ٢٠٠، بتصرف.

المبحث الثالث

آثار الاستشراق السلبية والإيجابية

أولا : الآثار السلبية :

لم يتفق الشرقيون على أثر المستشرقين الإيجابي إلا قليلًا، لكن الأكثرية اتفقوا على وجود أثر سلبي شديد على المعتقدات ، وكذا على اللغة العربية ، فها هو ذا البيرونى ٣٦٢– ٤٤٠ هـ الفارسي الأصل يقول " والله لأن أُهجى بالعربية أحب إلي من أن أُمدح بالفارسية " ويقول الزمخشري – رحمه الله تعالى–(" الله أحمد على أن جعلني من علماء العربية)

فلقد كانت نظرة العلماء الأوائل للإنتاج الاستشراقي نظرة شك وريبة، ولا سيما أن الأحداث المثارة كانت تدعم تلك الريبة ، لأن كثيرًا من المستشرقين جاءوا من دول " لها صولات وجولات استعمارية فى البلاد العربية والإسلامية ، مما حدا بالشيخ محمد بن صالح بن سعد الفكهاني أن يقول "وكأن المستشرقين خبيثو الطوية، فالمستشرقون يتناولون أصول الإسلام بغية النيل منه...(١) **وقد حدث خلاف حول الاستشراق بين الباحثين العرب لصالح الاستشراق فربحوا وخسر العرب "إن أقل ما ربحه المستشرقون هو تمزيق المفكرين الإسلاميين حولهم، وتحويل الصراع ضد الغزو الفكري الأجنبي إلى صراع بين المسلمين حول المستشرقين: أأحسنوا أم أساءوا"**[٢]

والحق أن المستشرقين قد ملؤوا الغرب بآراء مغلوطة عن الشرق المسلم ، وصوَّروه في صورة مشوهة، ونصبوا أنفسهم على أنهم العالم الكامل صحيح؛

١المستشرقون ونشر التراث دراسة تحليلية ونماذج من التحقيق والنشر على بن إبراهيم الحميد النملة ، صـ ٥٠ موسوعة الدراسات الإستشراقية الرياض ٢٠٠٣

٢ الاستشراق وجه الاستعمار الفكري، عبد المتعال محمد الجندي، صـ ٢١٥، مكتبة وهبه، القاهرة، ١٩٩٥.

والشرق عالم ناقص معتل مما حدا بالمستشرق (ماك دونال) أن ينسب إلى الإسلام عدم القدرة على تصور الحياة ككل"[١].

إضافة إلى أن القارىء الغربي كان حاضرًا فى ذهن المستشرق، لذا كان المستشرقون ينتقون الأعمال التى يقدمونها ، ولو راجعت مثلا مقالة (نولدكه) في مقاله له عن (صحة الشعر الجاهلي) تجده يزعم بأن هذا الشعر ظِل لمقولات أرسطوطاليس،وأن الشاعر العربي القديم متأثر بالفكر اليوناني، وهذا طرح يناقضه التاريخ الجاهلي بانفتاحه على المرئيات وتصويرها في أشعارهم)[٢] والذي لا شك فيه أنه لم يثبت أحد من الغربيين وجود تواصل بينهم وبين العرب في العصر الجاهلي، كما أنه لم يثبت أحد منهم من الذي ظهر أولاً ومهد للآخر، هل الاستعمار، أم الاستشراق ؟

لذا صار لزامًا على من يتناول الاستشراق أن يشير إلى الاستعمار والتبشير لأنهما نتاج له وثمرة من ثماره.

وظل الاستشراق هدفًا هامًا من أهداف الاستعمار ، وواحدا من طلائع جيشه ، وأعين أمنة يصيب أهدافه، ويحقق آماله؛ وبخاصة في مجال الأدب ، فلقد ألف "نولدكه" بحثًا بعنوان

(في سبيل الشعر الجاهلي) عزا فيه إلى الرواية والمشافهة بعض أخطاء وأخلاط حدثت في الشعر الجاهلي ، حتى إنه أدخل "بعض أشعار تأبط شرًا في شعر امرئ القيس، وهذا جعل ذا الرمة يطالب بكتابة شعره لأنه سهر فيه

١أوروبا والإسلام صدام الثقافة والحداثة، هشام جعيط، صـ ٤١، دار الطليعة، بيروت، ١٩٩٥.

٢دراسات في الأدب العربي، للسير جوستاف فون جرونباوم، ت: إحسان عباس وآخرون، صـ٨ وما بعدها، بتصرف، بيروت، ١٩٦٢.

وتعب ، وخاف من صنيع الرواة في اختيار أبيات أو عبارات لأنها أسهل وأسرع حفظًا وتداولاً "(١)

لقد حاول الغرب تشويه الإسلام بإدخل الهمج الهامج فى النصرانية ، وجيشت الجيوش من هذا الهمج الهامج من الصقالبة والسكسونية (٢) لكن حينما احتكوا بالإسلام والمسلمين الأُول ووجدوا من جميل الصفات وحلو الشمائل دخل كثير منهم في الدين " وارتفع الآذان في أطراف أوربا الشرقية " (٣) مما ملأهم ضغينة وعبئهم حقدًا " فبدأت أوروبا تتغير لتخرج من هذا المأزق الضنك ، وبهمة لا تفتر ، ولا تعرف الكلل بدأ الرهبان وتلاميذهم معركة أخرى أقسى من معارك الحرب ، معركة المعرفة والعلم الذي هيأ للمسلمين ما هيأ من أسباب الظفر والغلبة " (٤)

لقد أفلح الغرب في زحزحة كثير من المسلمين عن دينهم وهويتهم ، وتهوينهم من السلوكيات الإسلامية والسخرية منها ، واستبدالها بعادات وسلوكيات غربية قمئة من أخطرها المداجنة، .. وتصوير أنفسهم بأنهم أُوتوا العلم زرافات وفرادى ، ولهم سرح عظيم فيه. إضافة إلى تقطيع أواصر المجتمع وإعلاء الأنا والفردية ، فصار الكثيرون عبدة الدرهم والدينار، ولم يعودوا كأول عهدهم عباد الله إخوانًا "(٥). وحديثًا حدَّث المستشرقون أسلوبهم إذ عمل الغرب على:

١هذ البحث هو الفصل الأول من كتاب (حول الشعر الجاهلي، نولدكه) المطبوع في هانوفر ١٨٦٤ صـ١-١٤، ترجم البحث بعنوان (من تاريخ ونقد الشعر العربي القديم) عبد الرحمن بدوي، في كتاب "دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي"، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، صـ ١٧-٤٠، ١٩٧٩.

٢رسالة فى الطريق إلى ثقافتنا صـ٥٥

٣المرجع السابق صـ ٥٦

٤المرجع نفسه صـ٥٦

٥قضايا الحوار بين الأديان قديمًا وحديثًا وأثرها الفكري والأخلاقي، د. حلمي السعيد علام، صـ ١٨٩-١٩٠، بتصرف ط١، ٢٠٠٤-١٤٢٥.

إثارة الشبهات حول الإسلام ورسوله وكتابه وحول تاريخ الإسلام. إضافة إلى إعلائهم الجوانب الضعيفة الضارة بالمجتمع كالتصوف الفلسفي والفكر المعارض للإسلام ، وشعر الهجاء والغزل الجنسي ، وفتحوا الباب لنشر أفكار الشخصيات المثيرة للجدل مثل ابن الراوندي، والحلاج ، وابن عربي .. وغيرهم.

ثانيًا: إيجابيات الاستشراق:

الاستشراق موضوع شائق لكنه شائك ، وما كتب عنه كثير ومثير ، ومعروف أن البيئة المشرقية وقفت من المستشرقين مواقف متباينة، فإما قبول لهم وتمجيد لما فعلوه كليةً، وإما رفضه وتحقيره مطلقًا، أو نظرة موضوعية وضعت الأعمال على طاولة البحث؛ ثم قبلت ما ارتأته خيرًا، ورفضت ما رأته شرًا باعتبار إن الموضوعية يجب أن تتوافر في الحكم ، لكن لو نظرنا إلي المستشرقين نظرة موضوعية وجدنا المستشرق إنسان لا يرتفع إلي درجة الملائكية ولا ينحدر إلى درجة الشياطين فننظر إليه بعين الإنصاف لا الإجحاف فلا نراعي فى الكتابة (عن –فى) لتمجيد العقول ولا التنديد بها بل يأخذ كل ذي حق حقه ، ويستوفي نصابه العادل ؛ قدر المستطاع و نلاحظ أن معظم اهتمام الغرب كان لغويًا أدبيًا إذ حظى اللغة والأدب بكثير من المنجزات الإستشراقية ، سواء أكانت مؤلفات أم ترجمات ، مما يبادر للذهن بستفهام ؛ آلا وهو لماذا أهتم الغرب باللغة والآداب الشرقية رغمًا عن تفوقه العسكري ؟! فالغرب " توقى طوال هذه الفترة أن يواجه العالم الإسلامي في ميادين القتال مخافة أن تكون عاقبة التلاقي وجهًا لوجه وخيمة "([1]) لذا لجأ إلي اختراق المنطقة الآمنة الناعمة وهى الثقافة والأدب والفكر فما أسهل الاستقطاب إذ ما أوفت المغريات بجذب المستقطبين ، فقد غضبت أوروبا من الشرق المسلم الفاتح لها ، المنير – رغما– الدروب الأوروبية المظلمة ،

١ رسالة فى الطريق إلي ثقافتنا د محمود محمد شاكر دار الهلال صـ ٥٣

ولجأت إلى المداراة وبعدت عن الاستثارة " استثارة عالم ضخم مجهول ما فى جوفه ، ولا قبل لهم بتدفق أمواجه الزاخرة والتى كان "الترك" الظافرون طلائعها الظاهرة لهم عيانًا في قلب أوروبا ، وهذه رعايا المسيحية أمام أعينهم تتساقط في الإسلام مرة اخرى طائعة مختارة ، وتدخل بحماسة وتيقن ثابت فى جحافل الإسلام الطاغية "([1]) وقد نظرت إلي أعمالهم د/ عائشة عبد الرحمن: نظرة موضوعية فأثنت عليهم قائلة "ولم يقف جهد المستشرقين في الجمع على مجرد الاقتناء، بل فهرسوا ما جمعوا من تراثنا فهرسة علمية دقيقة... ومن ثم انتقلوا إلى نشر ذلك التراث نشرًا يعتمد على أدق منهج للتوثيق والتحقيق آنذاك .. وصحونا من نومنا، فإذا ألوف الذخائر العربية بين أيدينا، محررة موثقة، نلوذ بها في دراستنا العالية، ويعد الرجوع إليها في أبحاثنا المتخصصة مدعاة للفخر والمباهاة"[٢].وقد نصوا على أهمية وثراء اللغة العربية يقول " بوستل ١٥١٠– ١٥٨١" إن من يملك ناصية اللغة العربية يستطيع –على حد زعمه – أن يبقُر بطون أعداء الدين المسيحي بسيف الكتب المقدسة ، وأن يفنَّد عقائدهم بواسطة عقائدهم هُم وأن يكون على اتصال بالأرض كلها عن طريق معرفة لغة واحدة هي اللغة العربية [٣]

كذلك أيضًا ثمنّ جهودهم كثير من النقاد المحدثين فالدراسات الأدبية وتاريخ الأدب بصورته التي نعرفها اليوم هي أثر من آثار المستشرقين، وحسنة من حسناتهم" .[٤]

---

١ رسالة فى الطريق إلي ثقافتنا صـ٧٠ ،

٢ تراثنا الثقافي بين أيدي المستشرقين، صـ ٣٠٧، محاضرات الموسم الثقافي الثالث، الكويت ١٩٥٧م – ١٣٧٦.

٣ موسوعة المستشرقين عبد الرحمن بدوي صـ٨٧

٤ في الأدب الحديث، دعمر الدسوقي صـ ٣٨٦، دار الفكر العربي، ط ٨، ٢٠٠٠، ١٤٢٠.

وما ذلك إلا لانبهار الغرب بالشرق بحضارة الإسلام وثقافته إذ " صارت دار الإسلام كلها ديار ثقافة وخلق وحضارة تبهر الأنظار والعقول فى المشرق حيث مقر الخلافة فى دمشق وبغداد ، وفي المغرب حيث ديار الأندلس كيف حدث هذا؟ سؤال جوابه طويل ([1]) ولا شك إن الاحتكاك المباشر للغرب بالعرب كان في أسبانيا ، ولم نعدم عقلاء يقدرون الإسلام والعرب وكنوزهما ، " فقد نشأت مدرسة بني كوديرا فى القرن التاسع عشر إذ شهد مستشرقون أسبان يهتمون بدراسة اللغة العربية ، ويقبلون على دراسة التاريخ الأندلسي بوصفه اكتشافًا يحتاج للبحث وإعادة تحليل ، وقد أنشأ تلك المدرسة د محمد على دبور "([2])وقد أثنى د صلاح الدين المنجد على أعمالهم بقوله " لقد وطأ الغربيون بأقدامهم كل ميدان من ميادين ثقافتنا ، وحلوا عقدة صعوبة كل موضوع ديني مهم وثقافي عندنا ، وعالجوا آلامنا ، وكانوا يتبعون أبحاثهم العلمية مناهج علمية منظمة؛ بدليل إنهم يحيطون أحيانًا إحاطة أكبر بمصادرنا وكتبنا الأصيلة ، ويدركون مواضع النقد فيها ببصيرة أكبر ولديهم جرأة وشجاعة أكبر في الميادين الثقافية التى نخضع فيها نحن للتقاليد الدينية ([3])

وسأشير فى عجالة إلي بعض أعمالهم

١- تدعيم تعلم اللغة العربية في مدرسة طليطلة فى النصف الثاني من القرن ١٣/٧ فقد شجع عالم كبير ، وملك عظيم هو " الفونس العاشر (أو العالم الحكيم حكم ما بين ٦٥٠-١٢٥٢/ ٦٣٨-١٢٨٤ وهذا الملك من أجل المستشرقين الأسبان فقد شجع على الترجمة بصفة عامة ، وعلى الترجمة

---

١ رسالة فى الطريق إلي ثقافتنا صـ ٥٧

٢ الكتابات التاريخية عند مدرسة المستشرق الأسباني فراسيسكوا كوديرا دراسة نقدية ، رسالة ماجستير هبه عبد العظيم الراعي ، دار العلوم ، إشراف ا د عبد الله محمد جمال ٢٠١٧

٣ المنقى من دراسات المستشرقين ، دراسات مختلفة في الثقافة العربية جمعها ونقلها إلى العربية وعلق عليها صـ ١٢، دار الكتاب الجديد بيروت لبنان

العربية إلى الأسبانية لكتب علمية ، ودينية ، وتاريخية، وأدبية ، بصفة خاصة وأمر بترجمة القرآن الكريم ، وكتاب معراج محمد ، وكتاب كليلة ودمنة ، وكتاب عن خدع النساء ، إضافة إلى ذلك حظيت الكتب الأدبية العربية باهتمام شديد من مدرسة طليطلة ، ولا سيما مقامات الحريري التي أعجب بها الأسبان لما بها من تشويق وبلغ من إعجابهم بها أن ترجموها ليقرؤها على ملوكهم بالسنتهم فى سمرهم حتى قيل إنها كانت جذور قصص الصعاليك والمكديين فى الأدب الأسبانى خلال العصور الوسطى ([1]) LANOUVELLA PICEAREXA ثم توالى إنشاء المعاجم العربية فى اسبانيا ، " معجم لاتينى عربي قيل به أربعة آلاف كلمة لاتينية يقابلها ٨٠ ألف كلمة عربية ([2])

إضافة إلى ترجمة القرآن الكريم لفهم قيمه ومحاولة الرد عليه ، ويعد مارتينى ٦/٧/ ١٢٢٠ المؤسس الحقيقى للإستشرق فى أسبانيا ، فقد أتقن العربية والعبرية والكلدانية واليونانية وحفظ القرآن الكريم وصحيحي بخاري ومسلم ([3])

ب– فى ١٢/ ١٨ نزل الغيث غيث عصر التنوير على أوروبا وفي هذه الأجواء العلمية المتفتحة برز ثلاثة جذوع:

١– جذع جمع المخطوطات، ٢– جذع ترجمة روائع الإبداع الأدبي والنبوغ الفكري للشرق عمومًا ٣– جذع الدراسات الموضوعية المختصة

إذ يعد هذا القرن قرن (الاستشراق المستنير بصفة عامة في أوروبا ، فقد ظهرت دراسات موضوعية حول الإسلام وتاريخه ، وحول نبيه وكتابه المقدس ، ولا تخلو هذه الدراسات من تعاطف مع التاريخ الإسلامي ودفاعًا عن الرسول ، وخير مثال على ذلك كتاب الهولندي هارديان رولاند

---

١ القيم والخصال في شجرة الإستشراق الأسبانى الوارفة الظلال ، جمعة شيحة ، صـ ٤٢– ٤٣، بتصرف – مؤسسة البابطين الكويت ، ٢٠٠٤

٢ المرجع السابق صـ٤٤

٣ المرجع نفسه صـ٤٤

HARION RELAND–1087–1676–1131–1718 الديانة المحمدية ، وقد ترجم الكتاب إلى الأسبانية ([1]) كذلك كان الأب كانيس الفرنسيسكاني FRANCISCOCANES مدرسًا للغة العربية ، له معجم عربي طبع سنة ١٢٠٢/١٧٨٧.

بمدريد ، وكذلك كتاب مشاهير أندلسية اعتمد فيه على المصادر العربية والنصرانية ، والقس خوان أندروس JUANAND RES قام بالاطلاع على مخطوطات الأسكريال والبدء بدراستها دراسة علمية نزيهة جعلته يقول بكل جرأة واقتناع " إن أوروبا مدينة للعرب والمسلمين في كل مناحي حياتهم الإجتماعية والمعيشية " فتم نفيه، وفى منفاه ألف كتابه الموسوعي بالإيطالية " أصول الآداب " العالمية وتطورها فجرَّ فيه عديد القضايا الأدبية والفكرية ، طبع الكتاب فى ٨ مجلدات وترجم إلى الأسبانية عام ١٢٢٥–١٨٠٦، فى سبع مجلدات أظهر فى هذا الكتاب بكل موضوعية ما للعرب والمسلمين من الفضل على نهضة أوربا وانتقالها من مرحلة الهمجية إلى مرحلة المدنية ..([2]) وسار على خطاه المستشرق جيرولامو تيورابوس JIROLAMO TIORALOOCHI والمستشرق بورجستال الذي نشر فى عدة مقالات بالمجلة الأسيوية ١٢٥٥–١٨٣٩، أكد فيها على وجود تشابه بين الشعر الأوروبي ، والشعر الغنائى العربي بعامة ، والشعر الأندلسي بصفة خاصة ، وكذلك المستشرق الألماني أدولف فريديش شاك فى كتابه الشعر العربي فى أسبانيا وصقلية طبع ١٢٨٢–١٨٦٥ ([3]) إضافة إلى المستشرق خافيه سيمونيت ولد بمالقة ١٢٤٥–١٨٢٩ توفي بمدريد قد حصل على عدة إجازات فى القانون والفلسفة والأدب تعلم العربية وأتقنها وشغل كرسي اللغة

---

١ القيم والخصال صـ ٥٦

٢ المرجع نفسه صـ ٥٨–٥٩

٣ المرجع السابق صـ ٥٩

العربية بغرناطة ، عمل معجم الكلمات المستعربة ، دراسات تاريخية ولغوية للأدب العربي المستعرب وغيرها من الكتب النافعة والمفيدة ([1]) ومن تلك الإيجابيات التي لا يمكن إغفالها دور المستشرق الإسباني (آسبن بلاثيوس) الذي كان له دور كبير في تعريف الغرب بالتراث العربي، كذلك كان لنولدكه دور كبير إذ حقق ديوان "عروة بن الورد" ومنتخبات من الأغاني العربية القديمة مع شرح مفرداتها باللاتينية، كذلك وضع أوجيست موللر معجمًا هجائيًا (برلين ١٨٩٠) يقول فى دراسته عن الشعر الجاهلي " إنه فى نطاق حدوده عظيم وجميل وتسرى فيه روح الرجولة والقوة روح تهزنا هزًا مزدوجًا إذا ما قارناه بروح العبودية والاستخذاء التى نجدها في آداب كثير من الشعوب الأسيوية ويستشهد بهذا البيت من قصيدة سعد بن ثابت

سأغسل عني العار بالسيف جالبًا علَّى قضاء الله ما كان جالبًا

ويعلق نولدكه على هذا البيت بقوله " بهذه الكلمات يمضي العربي الحر إلي ساحة القتال ، هذه الروح الرجولية يمكن أن تكون قدوة نحتذي نحن الألمان بها – كتب المقال ١٨٦١– ([2])

إضافة إلى كثير من المترجمات ، فالمعلقات الخمس تم لها ترجمة وشرحًا مع موجز لتاريخ الجاهلية (فيينا ١٨٩٩–١٩٠٠) كذلك صدر ترجمة عن فقه اللغة السامية، وفيه لغتا الشعر والكتابة عند قدماء العرب (ستراسبورج ١٩٠٦) ديوان لقيط بن يعمر الأيادي (شرق وغرب ١٨٦٢) وغيرها من الأبحاث المثرية للمكتبة العربية.

ثم جاء اللورد WILHELM AHLWARDT وتحدث في الموضوع نفسه إذ أصدر دراسة بعنوان "ملاحظات على صحة الشعر الجاهلي"[٣] وألف

---

١ المرجع نفسه يتصرف صـ ٧٣

٢ الاستشراق والوعى السالب صـ٢٤

٣ ترجمها عبد الرحمن بدوي، بعنوان: ملاحظات عن صحة القصائد العربية القديمة، صـ ٤١–٨٦ من كتابه: دراسات المستشرقين.

رينولد نيكسونNICHOLSON A R A تاريخ العرب الأدبي LITERARY HISTORYARBS 1907. وألف بلاشير REGISBLACHERE كتابه تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي صدر بالفرنسية عام ١٩٥٢ وترجمه إبراهيم كيلانى ١٩٥٦. أندريه ميكيل درس العربية على يد بلاشير وعمل بحثًا بعنوان " نظرة شاملة للأدب العربي، وقام بترجمة قصة مجنون ليلى ، ديوان المعبد الغريق لبدر شاكر السياب، قصة عجيب وغريب إحدى قصص ألف ليلة وليلة ؛ إذ ترجمها وأجرى دراسة تحليلية معاصرة لها ، سبع حكايات من ألف ليلة إضافة إلى تأليفه الإسلام وحضارته نشر ١٩٦٨ وترجم إلى كثير من اللغات الأوروبية([1]) ، وفن الموشحات أثر في الفن الأوروبي وقد ابتكره "مقدم بن معافي" القبري الضرير ٢٢٥-٢٢٩ ([2])

وقد استقى شعراء التربادور البرفنس إلبون من الموشحات، ألف المستشرق المجري عبد الكريم جرمانوس – أسلم في الهند ١٩٣٠ – أكثر من مائة وخمسن كتابًا عن الهند وامتاز المستشرقون الأسبان بأنهم لم " يكونوا فى تخصصهم يدرسون تراث شرقي بعيد عنهم مختلف عن شخصيتهم وهويتهم ، وإنما كانوا يدرسون تراثهم وتاريخ بلادهم لفترة امتدت حوالى ثمان قرون فهم بذلك الأقرب على فهم هذا التراث، والأجدر بدراسته والتعريف به"([3])

---

١ ولد عام ١٩٢٩ عمل في أثيوبيا ومصر تم القبض عليه لدعم مصر واستقلال الجزائر فسجن هو ومن معه ، أثمر السجن عن مؤلفه وجبات المساء، LERS EPAS DU SOIRE ثم تولى التدريس فى الجامعات الفرنسية (جامعة فانسان– السربون الجديدة) انتخب أستاذًا لكرسي الأدب العربي في الكوليج دي فرانس ١٩٧٥ – الاستشراق الفرنسي والأدب العربي أحمد درويش 30–29 بتصرف ، دار غريب للطباعة ٢٠٠٤

٢ نفح الطيب ج ٥، صـ ٦–٧

٣ القيم والخصال صـ ١٢٠

وقد أثنى بعض العلماء عليهم لما قاموا به من نشر مئات المخطوطات وتأليفهم مئات الكتب حول حضارتنا مستخدمين أحدث المناهج في دراستهم ، مما أفاد الأدب العربي وأدباءه ومحبيه، فقد أثنى على نتاجهم تلاميذهم مثل طه حسين، جورجي زيدان، عبد الرحمن بدوي، بل امتد نشاطهم وتشعب اهتمامهم حتى "عالجوا كل أمر ذي شأن في ديننا وحضارتنا متقنين في دراستهم وأبحاثهم طرق البحث المنهجى[1] وهو ما صرح به أحمد لطفي السيد، أمين الخولي، سلامة موسى. وإذا قيل إن هذين الإثنين تأثرا بالإستشراق وكانا من أبواق دعايته، فإنا نستطيع القول لننحى ما قيل جانبًا ولننظر فى الأثر وكيف امتازت أعمالهم وكان منها ما تفرد فلم يسبق ولم يلحق (وهو تحقيق كثير من المخطوطات النادرة وإتاحتها للمتلقى وتيسير سبل الاستفادة منها ، وحفظها من الطمس أو الضياع– كان لهم فضل السبق والريادة والتمهيد لمن أتى بعدهم فسار على الدرب المعبد فأحسن السير وجوَّد الخطو مثل بروز أدب السيرة الذاتية .. فقد اهتم المستشرقون الأول بتحديد النوع الأدبي الذي يحللونه وحينما نظروا فى كتاب أحمد فارس الشدياق" الساق على الساق "، وقعوا في خلط أهو شعر أم سيرة ذاتية أم قصة ثم انتهوا إلي تسميتها " سيرة ذاتية تخيلية " فهي تشتمل على قصة فى إطار عمل ساخر من النقد الإجتماعي والأدبي به فيلولوجيا واستطراد شعري ، وسموا أدب الرحلات ([2])....وهو ما نماه العرب من بعد فكتب طه حسين الأيام ، نزار قباني فى المقهى ، وغيرهم

---

١ الأدب العربي من الانحدار إلى الازدهار، جودت الركابي، صـ٣٠٢، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٦.

٢ إرشاد الألباب إلي محاسن أوروبا محمد أمين فكري ، الدنيا في باريس أحمد زكي ، أيامي الثلاثة فى أوروبا إنها خليط من إنطباعات فردية أو تقرير أو قصة دراسات المستشرقين الإنجليز صـ ٢٥٩ بتصرف

١-نيلكسون ([1]) ألف كتابه تاريخ العرب الادبي في الجاهلية والإسلام([2]) literary history of ويقع كتابه فى عشرة فصول : انساب العرب – مفهوم تاريخ الادب ... ونجد أنه يؤطر التاريخ فى ظل مؤثراته المتون (سياسية اجتماعية دينية) يقول نيلكسون : ان الافكار التى تفصح عن ذاتها فى الادب العربى مرتبطة بتاريخ القوم بشكل وثيق وهى غير مفهومة بمعزل عن الظروف الخارجية التى انبثقت عنه ([3]) أو من فصوله الحديث عن سبأ وحمير ، تاريخ العرب الجاهليين ... النبي محمد الخلفاء الراشدون ثم الفصل الأخير تحدث عن أشهر من غزو المغول حتى العصر الحالي ، وهناك قضايا هامة ضرجت في الكتاب ورغمًا عن قدمها لم تقف جدتها بل نراها لا زالت على طاولة البحث من نحو : عالمية الأدب إذ دخلت عناصر غير عربية في الأدب العربي ومسألة نشأة علوم اللسان العربي إضافة إلي أنه تحدث عن كثير من قضايا الأدب والنقد واعتبر خمس شعراء من القدامى من الشعراء الهامين ، ويعدون علامات بارزة فعرف بهم وكثر استشهاده بأشعارهم .. وهم مطيع إياس، أبو نواس، أبو العتاهية، المتنبي، المعري وقال رأيه فيهم فمطيع : من مخضرمى الدولتين وقصيدته تعكس نفسيته الحزينة لفراق محبوبته

أسعداني يا نخلتي حلوان وأبكيا لي من ريب الزمان

وقد أعد نيلكسون أبانواس من المجددين، ولا سيما قصائده في الخمر والحب، وذكر اعتداده بأصله الفارسي. أما أبو العتاهية فقد رأى نيلكسون إن لجوئه للزهد " باعتباره المعادل الطبيعي للحياة الحسية التى انغمس فيها الكثيرون آنذاك ([4])، ورأى إن ديوانه يسيطر عليه روح الفلسفة

لدوا للموت وابنوا للخراب فكلكم يصير إلي تباب

---

١ arabs نيلكسون ١٨٦٨– ١٩٤٥ فى Reynold a Nicholson Keighley بالمملكة المتحدة ثم التحق بجامعة ابردين وبدا بدراسة اليونانية ثم الفارسية والعربية ثم عمل استاذا للغة الفارسية بجامعة لندن.

٢ ت د صفاء خلوصي جامعة بغداد ،د –ت

٣ تاريخ العرب الأدبي صـ ٢٩

٤ مناهج المستشرقين البريطانيين فى التاريخ للأدب العربي القديم دراسة تحليلية نقدية رسالة ماجستير معاذة إبراهيم محمد عكاشة صـ ٣٦ أشراف د عبد الحميد شيحة ٢٠١٥.

وقال عن المتنبي إن اعتداده بنفسه جعله يضعها في مرتبة ممدوحه فخرًا واعتزازًا في دولة اتسمت بالتفوق العسكري ، وقد ترجم نيلكسون عن الثعالبي ما أورده في يتيمة الدهر " وقال إن أبرز ميزات المتنبي انتماؤه إلى المدرسة الحديثة فى الشعر بحيث عالج في بعض قصائده قضايا عامة تمس البشر وبها فلسفة المثل والأخلاق ، وقد حاز المعري إعجاب نيلكسون إذ سخر ما لا يرضيه –وهو الوحدة وإغماط قيمته من معاصريه ، وعدم منحه مكانته في بغداد – لما يريد من تعميق فكره وتنقية ذهنه، وقدم ملخصًا لفكرة رسالة الغفران ويطري عليها باعتبار إنها " تعكس روحًا غير تقليديه وعقلانية، وقدم في شعره صورة حسية من إنحطاط بعض طبقات المجتمع فى عصره([1])

ورأى أن لامية العرب بها قواسم مشتركة مع لامية العجم وهى معارضة لقصيدة الشنفرى فالشنفرى يصور حياة الخارج على القانون في الصحراء ومعاناته ، والطغرائي ([2]) يصور الأوقات العصيبة لسقوط بغداد وهي تعد من عيون الشعر العربي

٢– هاملتون جب([3]) تفاعل جب مع الأدب العربي فاصدر كتابه " مقدمة فى الأدب العربي " ١٩٢٦ ثم بعد خمس وثلاثين عامًا أعاد إصداره بعد أن زوده بمطالعاته الجديدة ، وهو ذو نظرة أعم وأشمل للأدب العربي؛ إذ رأى أن كل ما تركه العرب الأُول يعد من الأدب سواء أكان فى العلوم الإنسانية أو العلوم التطبيقية الفلسفية أو النحو، إضافة إلى إنتاج الفقهاء والفلاسفة يعد من الأدب العربي ، وقد نص على تأثير الأدب العربي في

---

١ تاريخ العرب الأدبي نيلكسون ٣٢٠ وما بعدها بتصرف

٢ شرح لامية العجم للطغرائي ، دققها أحمد على حسن مكتبة آداب القاهرة د ت

٣ السير هاملتون جب (١٨٩٥ – ١٩٧١) A R GIBB hamilton من مواليد الاسكندرية وخليفة مارجليوث فى أكسفورد (١٩٣٧–١٩٥٥) عضو المجمع العلمي بدمشق والمجمع اللغوي بالقاهرة ، وكان يكتب بالعربية كأدبائها ويروي نصوصها فى محاضراته ، وأحاديثه وقد درسها خلال الحرب العالمية الأولى فى أدنبره على يد كنيدى الذي وسمه بإنه انبغ تلاميذه – المستشرقون نجيب العقيقي صـ١٢٩ ج٢ دار المعارف ط ٥ ،٢٠٠٦

الأدب الغربي المتنامي مما يدل على حيدته وموضوعيته، إذ نراه يتحدث عن التأثير والتأثر بين أوروبا والشرق، "وجب" من أوائل المستشرقين المهتمين بالأدب العربي الحديث وكان المستشرقون قبله يهتمون بالأدب القديم أما جب فقد دعى للاهتمام بالأدب الحديث حين قال " ... ولم نعد نستطيع أن نتوقع من شعوب أسيا وأفريقيا وشرق أوربا أن تأتي إلينا، علينا أن نكتسب العلم بهم حتى نتعلم أن نعمل معهم في علاقة أقرب إلى التبادل " (١) مما يدل على بزوغ فكرة التعايش مع الشعوب الحديثة، والتخلي عن التمسك بالقديم فقط وصرف كل الجهد له وقد يرجع أسباب تمسكهم بالقديم إلي: ١- اهتم المستشرقون بالتحقيق والنشر والدراسات الإسلامية ، ولم يتغير هذا الاهتمام إلي مع بداية القرن التاسع عشر بعد أن شعر المستشرقون بأن الاسلام والمسلمين استوفوا ذلك ولم يعودوا بحاجة إليه إضافة إلى وجود الوعي العربي ومشاركة بعض العرب في هذا النشاط ، يقول جب: كان الأدب العربي أقل الآداب الشرقية الحديثة حظًا من عناية الأوروبيين ، ويرجع ذلك إلي أن ذلك النفر القليل من الأوروبيين الذي لا يحدث صعوبة في قراءة العربية، منصرفون إلي دراسة ما للإسلام والمسلمين من تراث غني حتى لم يعد للحاضر في نظرهم أي إعتبار أو ربما لم يجدوا فيه ما يجذبهم إليه(٢)

٢ - لم يك الأدب العربي قد استوى على سوقه واستقل بسمات وخواص تكوين مميزة بل كان لازال فى فلك التبعية للأدب الغربي نثرًا وشعرًا ، فالقصة كانت تحاكي الغرب والشعر كان إما يمد جذوره للقديم أو تلامس فروعه الأدب الغربي الحديث الرومانسي والمهجري والديواني مما جعل المستشرقين ينصرفون عنه .

---

١ الاستشراق .. أدوارد سعيد صـ ٤٢٣ وما بعدها

٢ المستشرقون وأثرهم فى الدراسات الأدبية والعربية ، وليد على السيد ، صـ٨ ، مكتبة الآداب، ج القاهرة ط١ ، ٢٠١٣ ، بتصرف وما بعدها.

٣- هناك سبب خاص بالمستشرقين ألا وهو أن المستشرقين الجدد لم يكونوا فى إجادة ومثابرة القدامى ، إضافة إلي عدم إتقانهم اللغة باحترافية مثلهم وتوسع المشرقيون فى استخدام لهجات محلية صعب على المستشرقين لمس كنهها إضافة إلى المتغيرات الدائمة السياسية والاجتماعية والثقافية كانت أسرع وأقوى من استيعاب المستشرقين فعجزوا عن ملاحقتها رغمًا عن استيعاب العقل الأوروبي فى القرون الوسطى لأهمية منجزات الأدب العربي إلا أن العصر الحديث بسمته وما يحتاج من أدوات معرفية ليُلم به من أحداث ولهجات ، إضافة إلي عمره القصير " الذي لم يتجاوز قرن " حال دون متابعة دقيقة له من قبل المستشرقين ([1])

٤- الاستعلائية الغربية إذ يشعر المستشرقون بالفوقية والاستعلاء ، ولذا لم يهتموا الاهتمام المنوط به بالأدب العربي الحديث وأغمطه حقه في الإسهام في الحضارة المعاصرة ، حتى إنهم أخرجوا موسوعة لآدب الشرق وأغفلوا ذكر الأدب العربي بها وكأنه غير موجود وخلت الحقبة الزمنية وإنتاج العالم منه. ([2]) لكن جب توجه تلقائه وبين مميزات الأدب العربي قديمه وحديثه

---

١ دراسات المستشقين الإنجليز حول الرواية المصرية منذ منتصف القرن العشرين حتى ٢٠١٠ صـ ٩ وما بعدها بتصرف رسالة دكتوراة شريفة حسين الصافي ، د عبد الحميد شيحه ، إشراف د عبد المطلب زيد ، دار العلوم ٢٠١٨

٢ قال د جابر عصفور هناك الدليل المرجعي إلى أدب العالم REFERENCE GUIDE TO WORLD LITE RATURE ذكروا فيه معظم آداب العالم ولم يذكروا الأدب العربي الحديث طبعته الثانية كانت ١٩٩٥ وبها مداخلالعدد ٤٩٠ كاتبًا وكاتبة ، أكثر من ٥٠٠ مقال عن هؤلاء الكتاب وهم مستغرقون لحقبة زمنية طويلة من العصور اليونانية القديمة إلي عصرنا الحديث ، ثم بدأت فى إضافة الكاتب توفيق الحكيم ، نجيب محفوظ بطريقة غريبة إذ اهتمت بفترة وجوده فى فرنسا ١٩٢٨ -١ ١٩٢٥ وقدمت معلومات عن محفوظ غير دقيقة إن له ابن وابنه ، ولنجيب ابنتين – الهوية الثقافية والنقد الأدبي صـ٤٠٧ وما بعدها بتصرف ، الهيئة العامة للكتاب

ويؤكد أهمية الأدب الشرقي الذي انتقل إلى أوروبا عبر عدة مسارب منها إن أول كتاب طبع في إنجلترا (حكم الفلاسفة وأقوالهم THE DICTES AND SAYING OF THPHILOSOPHERSكان مترجمًا عن نسخة فرنسية مأخوذة من ترجمة لاتينية مترجمة عن أصل عربي ([1]) وكتاب جب (مقدمة في الأدب العربي) اتسم بعدة سمات :

ا- استخدم أكثر من منهج فى التاريخ للآدب العربي إذ حدده بحقب زمانية ورقعة مكانية

ب- ربط مسميات العصور الأدبية بمستواها الفني العصر البطولى –العصر الجاهلي أرخ فيه لمائة إثنين وعشرين عامًا من عمر الأدب العربي (٥٠٠-٦٢٢) ثم عصر التوسع (٦٢٢-٧٥٠) فالعصر الذهبي (٧٥٠- ١٠٥٥) والعصر الفضي(١٠٥٥-١٨٠٠) م

ج- التوازن بين الفصول : لا يحدد جب طريقة التناول مسبقًا، بل العصر بما فيه من خمول أو نشاط هو الذي يفرض المساحة المستغرقة فى عرضه ؛ فبينما فصول بلغت عشرات الصفحات كالعصر الجاهلي نجد فصل العصر المملوكي سبعة عشر صفحة ، والعصر العثماني صفحتان ، بينما العصر الحديث عرضه في صفحات أربع .

د – الحرص على سلامة نطق الحروف العربية خصص جب في بداية كتابه صفحة معنونة NOTE ON PRONUNCIATION

يوضح فيها للقارىء كيف ينطق اللغة العربية إذ كان حريصًا على النطق الصحيح ويقدمها للقارىء الغربي عن طريق الاستعانة بالإنجليزية أو الفرنسية

١ تراث الإسلام تأليف جمهرة من المستشرقين بإشراف سير توماس آرنولد تعريب جرجس فتح الله دار الطليعة ، بيروت ط٢، ١٩٧٢ ، ص ٢٦١

كا نطق حرف القاف العربي فهو K بالإنجليزية لكنه ينطق من أخر الفم مع صوت أجوف وليس QU بالإنجليزية وهكذا([1])

هـ- الاهتمام بالترجمة لإبراز أعلام الأدب العربي إذ عمد جب إلى تقديم تراجم للأعلام الواردة بكتابه ويقربها قدر استطاعته للقاريء الغربي ، ويرفقها غالبًا بسنتي الميلاد والوفاة

و- العناية بالشواهد الشعرية : عني بالاهتمام بالشواهد من القرآن الكريم والأبيات الشعرية ، ويرجع فيها للمصادر الأصلية فيستشهد بكتب بن قتيبه، وابن خلدون ، وشعر لعظماء الجاهلية النابغة، عمرو بن كلثوم ، ويهتم كذلك بالنثر فيترجم أجزاء من الشعر والشعراء معجم الأدباء.

٣- انَّا ماري شميل ([2]) الألمانية التى بلغت القمة في الإنصاف للشرق وقضاياه والحب المتصوف لتراث الإسلام والمسلمين وقد شكت أنا ماري شميل ([3]) من قلة المؤلفات العربية الإسلامية فى البلاد الإسلامية غير العربية " وهذا صحيح فالمكتبة العربية تكاد تخلو من المراجع المتخصصة فى الآداب الإسلامية فى إيران والهند والباكستان وتركيا وأندونسيا وغيرها من بلدان العالم الإسلامى .. وللمشرقين السبق فى اكتشاف هذه الآداب وترجمتها إلي اللغات الأوربية ، وقد درست جون دون JOHN DONNEالشاعر الإنجليزى الكبير فى عصر شكسبير والذي أظهرت خواطره واستعاراته تشابهًا هائًلا مع بلاغة شعراء الإسلام المبدعين ، إضافة إلى أن رسالتها للدكتورة ١٩٤٣ بعنوان " الخليفة والقاضي فى مصر فى القرون الوسطى المتأخرة وذلك فى سلسلة عالم

---

١ مقدمة الأدب العربي صـ ١٣٠ وما بعدها بتصرف

٢ أنَّا ماري شميل نموذج مشرق للإشراق ت وتقديم ثابت عيد صـ١٣، دار الرشاد

٣ عملت خمس وعشرين عامًا فى جامعة هارفارد ، ماستشوستس كأستاذ كرسي لمادة (الإسلام فى الهند حتى عام ١٩٩٢ إذ حصلت على الدكتوراة وهي فى التاسعة عشر

الإسلام ، وكانت تحرص على تبليغ رسالتها فتتكلم بالفصحى الألمانية أو الإنجليزية أو وإذا لزم الأمر أيضًا بالعربية أو الفارسية ([1])

٤-"برجستراسر" المستشرق الألماني عمل في أصول نقد النصوص ونشر الكتب "أول عمل يجمع أصول التحقيق وفوائد النشر، وكان أصل هذا الكتاب محاضرات ألقاها على طلاب كلية الآداب بالجامعة المصرية سنة ١٩٣١-١٩٣٢ ثم جمعها وأعادها للنشر الدكتور محمد حمدي البكري ١٩٦٩، (وكانت جمعيات المستشرقين قد اتخذت قواعدا لنشر المخطوطات القديمة اليونانية واللاتينية وطبقتها على نشر النصوص العربية الإسلامية بإشراف المستشرق ريتر... وثمة فارق بين الامتنان للمستشرقين وشكرهم على تصنيف التراث وطرحه بشكل علمي والتزام خطواتهم من انتقاء المخطوط بعناية، وجمع نسخ المخطوط، ومقارنة بعضها ببعض والتنويه على الاختلافات، وتحقيق إثباتها لمؤلفها، ونقد النصوص وفق أصول علمية، وتزويد الكتاب بالفهارس الشاملة الدقيقة ثم نشرها بشكل جيد طباعة ومنهجًا وتقبل ذلك شاكرين، إلا أن مؤلفاتهم ينبغي قبولها بحذر وحيطة لأنها تنمو في تربة أفكارهم، وتروى بتوجهاتهم، وتهدف إلى تغذية منظومتهم الفكرية ذات الأبعاد السياسية الاستنفاعية، "[2].

٥- جاك بيرك ([3]) أنجز العديد من الآثار الفكرية أهمها ترجمة القرآن الكريم والتقديم لها، كتابه "الإسلام من الأمس إلى الغد"...وقال فى لقاء له " أنا

---

١ أنَّا ماري شميل صـ ٢٧

٢ يضيق الإلمام بذلك، وفي كتاب: المستشرقون والشعر الجاهلي بين الشك والتوثيق، د. يحيى وهيب الجبوري، ص ١٢ وما بعدها بتصرف، ط١، ١٩٩٧.

٣ ١٩١٠ -١٩٩٥ شغل العديد من المواقع الفكرية في فرنسا والعالم العربي منها استاذ التاريخ الاجتماعي للإسلام المعاصر في معهد فرنسا، عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة، حوار الاستشراق من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب ، أحمد الشيخ ،-بتصرف- المركز العربي للدراسات الغربيةصـ١٩-٢٥

كاثوليكى أحب الإسلام "وكان حبه هذا إيجابيًا حاول تقييم جهود المستشرقين فى فرنسا وأثرها على الروافد السياسية والعلمية المكونة للمجتمعات الغربية وعاب على المستشرقين عدم التوسع في استخدام مناهج البحث الحديثة، وكان وثيق الصلة بالمجتمع العربي متحمسًا له فعندما أعلن " علال الفاسي " بيان الاستقلال ١٩٤٤ كتب جاك بيرك تقريرًا " نحو سياسة فرنسية جديدة فى المغرب ١٩٤٦فأغضب عليه إدارة الإنتدابات فنقل خارجًا ، ثم التحق بالعمل بمصر ١٩٤٧ لدى منظمة اليونسكو فى مكتبها بسرس الليان بالريف المصري، وألف أندلسيات ١٩٨١ ، المعايير والقيم فى الإسلام المعاصر ١٩٦٦، الإزدواجية فى الثقافة العربية ١٩٦٧ ، كما ترجم من العربية إلى الفرنسية نصوصًا لطه حسين وأدونيس والأصفهانى ومن أقواله فى قضيتنا " إن الاستشراق ليس منهجًا بذاته بل نتيجة وهدف لمجموعة كثيرة العلم " وهذا القول مستغلق يصح أن يطرح عليه الكثير من التفسيرات فربما قصد إن العلماء الغربيين المعجبين بالشرق لم يعرفوا كيف يوضحوا هذا الإعجاب فوجدوا فى الإستشراق والإهتمام بعلوم الشرق مندوحة للإفصاح عن هذا الإعجاب ، وربما قصد التعبير عن إعجاب الثلة الغربية بالشرق وفنونه وإرادتهم السيطرة عليه والاستئثار به . ...

وهناك مستشرقون وقعوا فى حب بلاد المشرق ودافعوا عما ينتمي إليها لغة وحضارة ،كما فعل الأب ميشيل لولون الفرنسي الجنسية فهو من المستشرقين المحترمين للحقيقة، أمضى ربع قرن في تونس فعشقها وعمل متحدثًا باسم "سكرتارية الكنيسة الفرنسية للعلاقات مع الإسلام (١٩٧٥–١٩٨٠) حصل كتابه " تعرفت على الإسلام " على جائزة الصداقة الفرنسية العربية ١٩٧٦، وقد قدم للمحاكمة مع روجيه جارودي ١٩٨٥ وتم تبرأته من تهمة العداء للسامية ، قال بحتمية إعادة طرح الإسلام للمجتمع الغربي ، فقد حدث " سوء فهم" فالغربيون المثقفون – الفرنساويون والألمان –الذين يعرفون الغزالي وابن خلدون ، وطه حسين قليلون على الرغم من أن القيمة الإنسانية

الروحية لانتاجهم يمكن مقارنتها باسماء أوغسطين ، مونتاني أوكامو ، ثم يضيف متعجبًا من المثقفين والساسة والزعماء ممن تفاجأ بالصحوة الإسلامية التي بدأت في نهاية القرن الماضي وعاب عليهم إنهم لم يعوا أسماءً هامة كالأفغاني ، محمد عبده، رشيد رضا ([1])

وقد عاب جان ديجو قلة الكتب المترجمة من العربية إلى الفرنسية وقال إن ثمة تقصيرًا كبيرًا من العرب تجاه أدبهم فهم لم يعرفوا الغرب بنتاجهم بشكل جيد وإن كان الوضع تحسن قليلاً بعد فوز نجيب محفوظ بنوبل فى الأدب (كذلك عاب على الكتاب المغاربة كتابة أدبهم باللغة الفرنسية " لغة المحتل " واستمرارهم الكتابة بها حتى بعد التحرير مما يوسم أدبهم "بعدم الأصالة " وإنه للتقرب من الفرنسيين .

وأضاف إن الملك الذي استاء من فرنسة التعليم والإدارة فى فترة الحماية ذاته الذي قال " ليس من الممكن معرفة اللغة الفرنسية بدون أن نحبها إنها نافذة على عالم المنطق والعقل والحكمة " ([2])

وأرى إن هذا النص يكشف إلي أي مدى تقصير وإجحاف العرب للغتهم العربية إذ يستبدلون اللغة القومية الثرية باللغة الفرنسية لسان المحتل القاصرة عن حمل فيض المشاعر وكم الأحاسيس ، وهذا النص في الأداء الأدبي العادي ولم يتطرق إلى اهتمام المشرقيين بالآداب العربية وبذلهم الوقت ووقفه النفس للحصول على مخطوطة ثم تحقيقها . ونلاحظ إن التنقيب في التراث العربي ومحاولة تقويمه وإتاحته للغرب والشرق وتعريف الغرب به وتقدير منزلته شيء محمود.

---

١ حوار الاستشراق من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب ، أحمد الشيخ ، صـ ٢٠١-٢٠٢-بتصرف- المركز العربي للدراسات الغربية .

٢ المرجع الساق صـ ٢١٠-٢١١ بتصرف

فالغرب درس التراث العربي لغته وأدبه وعاداته ، لكن لم نره " درس الروح الإنساني التى ابتدعت ذلك التراث الخلاق بأسره لا من وجهة نظر الغرب ولا من وجهة نظر العرب أنفسهم (١)

المستغربون : الحق إن وقوع كثير من البلاد العربية تحت حكم الاحتلال دفع كثيرًا من أدباء تلك البلاد للكتابة باللغة الفرنسية لغة المحتل ؛ ربما لتعريفهم بالأدب العربي وربما ليضمنوا لمؤلفاتهم الشيوع والانتشار " بالطبع أن تملك اللغة الفرنسية يسمح بتحقيق أشياء إيجابية كثيرة حتى لو كانت لغة المحتل إذ إنها تساعد على التخاطب والتفاهم (٢) ألف مالك شبل الباحث الجزائرى العربي المسلم " موسوعة الحب فى العالم الإسلامي " وقد نشرتها دار المطبوعات الجامعية الفرنسية على وجهة مكتبتها الشهيرة ، وقد فسر اختياره لذكر هذه الثنائية الحب– الإسلام " استخدمت كلمة الإسلام لإن الاستعمال الأوروبي لها يعنى جميع الشعوب المسلمة.. وحقيقة الأمر إنني أردت إيضاح إن معظم المسلمين ليسوا جهلاء و لا يمارسون العنف كما هو شائع وإنما يتوفر لديهم ثقافة إنسانية وحضارة راقية وإنهم مثل غيرهم رومانسيون ولديهم خبرة في ميدان الحب والمشاعر الإنسانية . أردت أن أظهر هذه الصورة الجميلة لديهم لا صورة التزمت والعقد ، لكن هذا لا يمنعنى بالطبع من التفكير والتفكير يفضي إلى النقد (٣)

عبد الرحمن سلطانوف له أثار عظيمة.. أبحاث ومقالات فى اللغة العربية وآدابها والتاريخ والاقتصاد ،ومنها التيارات الفكرية فى الأدب المصري المعاصر، الأدب المصري فى مرحلته الجديدة (٤) وكانت ندى طوميش

---

١ خليفة الاستشراق ٧١١

٢ حوار الإستشراق ٢١٠

٣ المرجع السابق صت ٢٢٣

٤ ولد فى ١٩٠٤ ، رئيس القسم العربي فى معهد الدراسات الشرقية لمجمع العلوم ، المستشرقون نجيب العقيقي ج ٣ صـ ٩٦

أصدرت فى مجال دراسة الأدب أول كتاب أساسًا باللغة الفرنسية حول الأدب العربي الحديث في مجمله وهو الكتاب الذي أُعتبر أداة ضرورية للباحثين والطلاب، وكان ثمرة سنوات عديدة من التدريس الجامعي والبحث الأكاديمي، وترك أثرًا كبيرًا على العديد من المطبوعات المتعلقة بهذا الموضوع ، ومن مؤلفاتها " نابليون أديبًا ١٩٥٢، الأدب العربي المترجم، أساطير وحقائق ١٩٧٨، تاريخ الدب الروائي فى مصر الحديثة ١٩٨١، الأدب العربي المعاصر ١٩٩٣، كذلك لها كتاب عن بن حزم الأندلسي ([1])

وعلى الرغم من أن إفادتهم للمشرق متعددة النواحي متشعبة المجالات فالدراسات اللغوية والأدبية كانت أبرزها سواء أوقف خلف ذلك نية طيبة من فهم اللغة واستيعاب الإرث الثقافي الإنساني الذي تجاوز أصحابه به صحراءهم وقارتهم المنسية حتى وصلوا إلى قلب العالم وتصدروه – لفترة – فالوقوف على سبب التفوق سلوك بشري وجاذب قوي، سواء أوقف وراءه نية طيبة أم نية خبيثة من فهم اللغة، والشخصية المتحدثة للوقوف على طرق السيطرة عليها والحد من تقدمها وتسخيرها لخدمة أهدافه المتنوعة سياسيًا وعسكريًا، وأيديولوجيًا ومجتمعيًا، لكن الدراسات الأدبية بفروعها عدها البعض حسنة من حسناته "

وقد تأثر جيوم التاسع، وكونت بواتييه وغيرهم ممن ساروا في أشعارهم على موسيقى الشعر الأندلسي كذلك فتأثير أدب المشرق في الأدب الغربي بالغ الأثر، فإضافة إلى الوسائل سالفة الذكر كان هناك "انصهار في بوتقة الحضارة العربية من خلال المساجد الإسلامية التي كان يدرس بها الرهبان واليهود ومجالس الأدب العربي التي كان يعقدها الخلفاء على عاداتهم. ولقى

---

١ ولدت ندى طوميش في القاهرة ١٩٢٣ لأسرة لبنانية حصلت على ليسانس آداب جامعة القاهرة قسم فرنسى ١٩٤٥ ، وسافرت منحة للسربون للدكتوراة ١٩٥٠ مع مرتبة شرف ، قامت بالتدريس في جامعة باريس (١٩٦٩-١٩٧٢) ثم انتقلت للعمل بالسوربون – المرجع نفسه ١٧٢بتصرف

نقدنا العربي القديم أهتماما كبيرًا من المستشرقين ، وإن كان ذلك تأخر عن فروع الآداب الأخرى التى حظيت باهتمامهم ([1]) إضافة إلى أن " الأستاذ هاينرشس " درس موضوع الأثر اليوناني عند النقاد والفلاسفة العرب والمسلمين بينما درس المستشرقان ياكوبي وبورقل قضية الصدق والكذب فى الشعر عند النقاد العرب القدماء ([2]) وهذه القضية – قضية الصدق والكذب– تناولها المستشرقون من الاتجاه الدينى – الاتجاه الأسلوبي البديع ، وكان للمستشرق هاينر شس فيها نظرات إذ أخذ عبارة نقدية عربية شهيرة تناولها من وجهة نظر نقدية أسلوبية استشراقية آلا وهى عبارة " أحسن الشعر أكذبه"
DIEBESTE DICHTUNG ISTDIE LUGENEREICHSTE

ا– وتعنى إن الشاعر إذا ترك قضية مطابقة الوصف للموصوف فعندئذ يصبح حرًا فى الوصف وذلك إن المبالغة فى هذه الحالة لا تعنى الإرتباط بالحقيقة وهذا التنوع .

ب– أحسن الشعر أصدقه DIEBESTE WAHRSTE DICHTUNG ISTDIE

وإذا استطاع الشاعر هنا وعلى الرغم من التزامه الصدق صنع عمله بشكل جيد يدل على مهارته وقدرته الفنية فهو عندئذ الشاعر الجيد الصادق

ج– أحسن الشعر أقصده DIEBESTE DICHTUNG ISTDIE ISTANGEMESSENTE وهذا القول ينطبق على الشاعر الذى يعبر بشكل جيد في شعره ودون مبالغة فى القول أو استحالة فى المعنى ، فضلاً عن صياغة عمله بألفاظ سهلة واضحة ، ويخلص هاينر شس إلى القول بإنه لا يرى فى هذه الأنماط الثلاثة أي جسر بين الصدق والكذب أو بين الصدق والمجاز ، وذلك لإن الصدق والكذب يوجدان خارج العمل الفني وعندما يوجدان فى داخل العمل الفني – حسب تعبير الناقد الألماني فون فيلرت

١ الاستشراق الألماني المعاصر والنقد العربي القديم ،د محمود درابسة صـ ١١

٢ المرجع السابق ١٣

VON WIIPORT فإنهما يوجدان لعرض إجمالي، فطرح هاينر شس لقضية نقدية قديمة هامة ، ومحاولة إبداء رأيه فيها يدل على تمكنه من اللغة العربية ووصوله إلى حد كبير من التذوق والتميز (١). ومعالجته لتلك القضية جعلته "أول من لفت الانتباه لهذا الصنف الأدبي الذي لم يعره المستشرقون اهتمامًا من قبل كما يعد جرونباوم أول من استخدم مصطلح النقد الأدبي " LITER URKITLK(٢) وتم عمل دراسة عن جذور فن الشعر عند حازم القرطاجنى فى ضوء مفاهيم أرسطو.

ولا شك أن تاريخ الأدب العربي "لبروكلمان" ومنهجيته في الجمع والتبويب والفهرسة علامة واضحة لأثر المستشرقين في الأدب العربي،(٣) وإن وجه إليه انتقادات كثيرة منهجية وشخصية من نحو عدم الإنصاف والتحيز، وافتقاد الحيادية في عرض التاريخ والأحداث الإسلامية، بل لتطاوله على الإسلام وكتابه الكريم ورسوله العظيم، وقد رصد كثير من المؤلفين مؤلفاتهم للرد عليه، وتفنيد مزاعمه، إضافة إلى أنه لم يحو نظرية شخصية فانتهج متوالية من الأدلة لإثباتها، أو أزال التراب عن مؤلف مغمور وعمل على نشره، وإظهاره للنور، أو التعليق على حركة أو اتجاه أو مذهب وتعليله وشرحه أو مهاجمته، ففي أوراق كثيرة من الكتاب عرض فقط وإن كان يحسب له إثباته ما استطاع الوصول إليه من نصوص وتحقيق نسبتها إلى مؤلفيها، وإن كان غاب عنه الاستشهاد لكل أديب بشاهد من أدبه، فالتراجم لم تسر وفق وتيرة واحدة، بل اختلفت بين الكثرة والقلة تبعًا للمادة التي في حوزته عن المترجم له، وكان هناك مستشرقون منصفون اعترفوا بالحضارة الإسلامية وأقروا بنفعها لهم وتغييرها لمسار حياتهم، وإثرائها للعلوم والفنون والآداب وما

١ ليس المجال مجال مناقشة رأي ، وإنما هو عرض لغرض إن بعض المستشرقين أفاضوا فى النقد الأدبي العربي وأفادوه . درابسه ٢٤-٢٧ بتصرف

٢ الاستشراق الألماني المعاصر د محمود درابسة ١٠٧

٣ ولم أورد أمثلة نظرًا لانتشار الكتاب وسهولة مطالعة ذلك

كان للغربي أن يسود ويسيطر على العالم إلا بعد أن طالع حضارة مصر القديمة " وبابل بدءا خاطفًا سريعًا، ثم يتوسع ويتشعب ببلاد الإغريق وروما، مارًا مرورًا عابرًا ببيزنطة ومنتقلاً إلى القرون الوسطى المسيحية؛ لينتهي منها آخر الأمر بالعصور الحديثة كما قالت زيغريد هونكة [١]

ومن اهتدى من المستشرقين للإسلام كانت "أبحاثهم المجردة عن الهوى لا تلقى رواجًا لا عند رجال الدين ولا عند رجال السياسة، ولا عند عامة الباحثين، ومن ثم فهي لا تدر عليهم ربحًا ولا مالًا، وبهذا ندر وجود هذه الفئة[٢].

وأكثر اعتراض المشرقيين على عمل المستشرقين افتراء المستشرقين على الإسلام والمسلمين وتطاولهم رغما إن هناك مستشرقين منصفين يقول مارسيل منصفًا للإسلام مبينًا قيمه التي لا تتغير سلمًا ولا حربًا ولا تطمس تحت الضغوط "منذ بدء الفتح العربي الإسلامي كان المحاربون المسلمون قد فرضوا على أنفسهم روحًا من التسامح مع غير المسلمين ومع الشعوب المغلوبة، وفي زمن لم يكن فيه العنف يعرف شرعًا ولا عاطفة"[٣]

"في المجال الأدبي درسوا تاريخه وتطوره وقيمته وأصالته وعصوره ونهضته وتأخره وازدهاره وأعلامه وشعراءه فحاولوا فهم الشخصية العربية والإحاطة بها من كل الجوانب، فوصفوا مؤلفات وحفظوا المحفوظات في ذلك"[٤] فالغرب يدرس الشرق المختلف عنه ويحاول استثمار هذا الاختلاف في قصدية ممنهجة تؤلف سمات المرحلة المشتركة في لغة تستوفي مواقف الأفراد واستجابتهم للأحداث والمجريات لكونها تمثل مستعملها فما يكاد ينطق

---

١ شمس العرب تسطع على الغرب، صـ١١، ت: فاروق بيضون، وكمال دسوقي، دار صادر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ب ت.

٢ موسوعة الاستشراق، صـ ٦٨.

٣ المرجع السابق، صـ ٢٧٨.

٤ فلسفة الاستشراق، صـ ١٨٥-١٨٦.

بها حتى يترجم المتلقى ذهنيًا المعنى المعني وبلغ من حساسية اللغة المنطوقة إن المتلقى يستوعب حالة القائل سواء اكانت رضا أو سخط ، نفور أو قبول

والمستشرقون المنصفون اطلعوا على حضارات وثقافة الإسلام مستخدمين المنهج العلمي السليم دون عمد إلى تحريف أو دس سلبي، وما وقعوا فيه من الأخطاء كان بسبب عدم إتقانهم فنون العربية وأساليب بيانها (لذا اهتدى بعضهم للإسلام مثل الفونس أنين دينيه A atein DENE الملقب بناصر الدين، موريس بوكاي MBIKAI وغيرهما كثير فأمثال هؤلاء لم ينالوا رضا رجال الدين في بلادهم ولا رجال السياسة ولا عامة الباحثين إضافة إلى إنهم لم ينالوا أي جهد أو تشجيع "فكرسوا حياتهم وطاقاتهم لخدمة أغراض علمية محضة دون دواع سياسية أو توجيه أيديولوجي شغفًا بالعلم، وقد قام رايسكه[١] بنسخ قصائد لجرير ١٧٣٩ ولامية الشنفرى وأشعارا للبحتري بنفسه واهتم اهتمامًا خاصًا بالمعلقات واطلع على المخطوطتين رقم ٢٩٢-٦٩٢ من مخطوطات فارنر في مكتبة ليدن[٢] وأعجب بمعلقة طرفة وأعاد نشرها بعنوان (معلقة طرفة بشرح النحاس) وترجمها إلى اللاتينية ووازن بينها وبين ديوان الهذليين، والخماسية لأبي تمام والبحتري، وشعر المتنبي وأبي العلاء ووصف المخطوطين، وتكلم عن الشروح على المعلقات، وذكر مختلف الأسماء التي

١ ولد يوهان باكوب رايسكه في عام ١٧١٦ في ألمانيا، شغف باللغة العربية، وحصلها بلا معلم وفى عام ١٧٣٥ بدأ قراءة: عجائب المقدور في وقائع تيمور، لابن عربشاه، وهو مسجوع، وعانى في قراءته، ثم أتقن العربية شغفًا بها. ، الاستشراق الألماني والنقد العربيى القديم د محمود درابسه صـ١٥

٢ الاستشراق بين دعاته ومعارضيه، ت وإعداد: هاشم صالح، صـ ١٧٨، دار الساقي، ط٢، بيوت ٢٠٠.

سيمت بها... وكان مناصرًا للإسلام والمسلمين حتى سمى شهيد الأدب العربي لعداء الكنيسة له ولأفكاره المعتدلة[1].

نحن ننظر للغرب نظرتنا إلى حضارة نظيره رغم إن دعائمها الأولى في مختلف العلوم مستمدة من واقعنا الأولي الذي أفاض في العلوم كافة، وعلى الرغم من وضعية الاستعلاء والنموذج القيمي الذي يتعامل به الغرب مع الشرق ويحاول فرض نفسه على المجتمعات الأخرى فلا ندخل في صراع مع مصادرها وآلياتها ومؤسساتها، لكن هناك توازن في التعامل فلا إبهار وخضوع ولا معاداة وقطيعة ومحاربة.

وقد ساعد الاستشراق على حصر التراث وتوضيح أماكن وجوده إذ قام به (فون هامر، بروكلمان، دي غويه) وغيرهم بحصره أو المساعدة في جمعه، وتشجيع المؤسسات على فهرسة التراث مثل: دار الكتب المصرية، وتحقيقه ونشره موثقًا علميًا، كذلك قام الكثيرون بنقده نقدًا منهجيًا موثقًا، ثم نشروه مترجمًا إلى لغات مختلفة مما عرف الغرب بتراثنا الشرقي فأدركوا قيمته وقيمة المصنفات العربية الفريدة.

ليس لدينا دراسة دقيقة حصرية عن عمل المستشرقين، لذا سيظل الحديث عن فوائد أعمالهم وأضرارها قائمًا على الحدس والتخمين، ويعتمد على ملاحظات سريعة ويتأثر بأهواء أو مزاجية وصلات شخصية ومواقف نفسية تجذبه من يمين ويسار) [2].ويجب أن تكون هناك دراسة علمية ممنهجة متطلعة على التراث الاستشراقى مبرأة من الأهواء والتوجهات تتسم بالحيادية العلمية .

---

١ جهود المستشرقين في تحقيق التراث العربي الإسلامي، عباس محمد حسن سليمان، صـ ٧٧-٧٨.

٢ المستشرقون والتراث، صـ ٧.

اختلف الاستشراق الغربي من بلد إلى أخرى فمثلا الاستشراق الفرنسي غطى النواحي الدينية والسياسية، وكذلك الاستشراق الألماني فقد أنشأت فرنسا جامعة السوربون، ومعهد اللغات الشرقية، وصبغ الاستشراق الفرنسي خاصة بالتخصص ، فالمستشرق الفرنسي يلم بعلم وتيقن، واهتموا بفقه اللغة ونحوها وعضدوا اللهجات العامية، واهتموا بالآثار وتبعوها وأنشأوا معاهد ومراكز للاعتناء بها، كما فهرسوا الكثير من الكنوز الشرقية من المخطوطات والوثائق واهتموا بتأثير القرآن الكريم في تأسيس المدارس اللغوية وشحذ الفكر البلاغي، والاستشراق الروسي بدأ في الربع الأول من القرن ١٧٢٤ وقد مر بمراحل ثلاثة: مرحلة الرحلة نحو الشرق... مرحلة الدراسات الشرقية، مرحلة تصدير الدراسات الشرقية، وأسسوا الكثير من المجلات والجرائد المعنية بالمشرق كشوف سانت بطرسبرج – البشير الأسيوي المسكو في زايسكا – بنهاية القرن التاسع عشر أصبح الإشراف الروسي مدرسة لها أركانها ورجالها ونشاطاتها العلمية وكأنها شخصية مستقلة تستند إلى قاعدة وتم التلاقح اللغوي أو اقتراض لغوي دلالي بين العرب والروسيين فمن خلال الرحلات والالتقاءات التجارية والعسكرية والدينية في بيت المقدس استخدم كل جنس بعض مفردات الجنس الآخر، فاستعمل العرب مصطلحات روسية من نحو كيمياء كحول أكسيد ، كما استعمل الروس مفردات عربية مفتقده في لغتهم من نحو "مسجد فلفل سلطان" وتوسع الاقتراض بعد الاتصال التجاري بين تجار بغداد وشعوب أسيا الوسطى وبين تجار السوق الروسية الكثيفة إذ تتبع الروس مواكب المستشرقين الأوروبيين ومتابعة نشاطاتهم العلمية بغية اللحاق بهم فاطلعوا على ما صنفوه أو ترجموه أو حققوه، ومن ذلك ترجمة سلسلة عن حياة الرسول محمد صل الله عليه وسلم (محمد منذ بداية رسالته وحتى النهاية) التي كانت باللغة الإيطالية فترجمت إلى الروسية في العام ١٦٨٤م[١].والمستشرق

١ الاستشراق الروسي دراسة تاريخية شاملة، صـ ٤٩.

السوفياتي إ. ي. كراجوفسكي أقام فى مصر وسوريا " (١٩٠٨-١٩١٠) مبعوثًا من جامعة بترسبورج ؛ يتوصل إلى أن الكتاب العرب كانوا يتعاطفون مع روسيا إبان حربها مع اليابان ، ويصف المشاعر العربية فى تلك الأيام بأنها كانت مبعث عز وشرف لروسيا ([1])ولم يقتصر الأمر على المستشرقين ، فهناك مستشرقات أيضًا ساعدت فى نشر الأدب العربي فى البيئة السوفيتية والبرفسورة السوفيتية " كلثوم عودة " عربية من أصل فلسطيني ، وهي التى لعبت دورًا كبيرًا في رسم خريطة الآداب العربية أمام القراء السوفيتات على أثر انتهاء الحرب العالمية الثانية ([2])والآدب كائن حى يكون التأثر والتأثير له كما يكون منه .. ويتبادر سؤال هل أثر الأدب العربي فى الأدب الغربي ؟

ثالثاً : أثر الأدب العربي في الأدب الغربي:

من ثمار الاستشراق تأثر الغرب بالآداب والفنون العربية ، فشعراء التربادور صاغوا كلماتهم على موسيقا الزجل الأندلسي، وما زالت آثار الموشحات والزجل باقية في ألحان أوروبا وموسيقاها خلال العصور الوسطى إلى اليوم خاصة في الأغاني الشعبية الفرنسية المعروفة باسم "الروندو" وقد أقبل المستشرقون على التراث العربي بنهم شديد ينقلونه إلى لغتهم[٣] ويعد تشارلس لايل الإنجليزي[٤] من الرواد الأُوائل الذين تحلوا بالأمانة والدقة، حتى

---

١ الاستشراق والوعي السالب صـ ٢٢

٢ المرجع السابق صـ٢٣

٣ وهو ماجعل لمؤلفاتهم أكثر من وجه؛إذ وقع كثير منهم في أحكام عامة، وهو ما لا يتفق مع الأبحاث العلمية، أو تورطوا في خطأ الحكم، ربما لعدم فهم دقائق اللغة وخصوصيتها، أو اندفعوا لنشر رأي بشكل قاطع، ربما لغرور بعضهم وتصوره أنه اتقن اللغة بجزئياتها، ومن حقه أن يكون حكمه مرجعًا.

٤من المستعربين الإنجليز الذين ينتمون إلى مدرسة كمبردج، تخرج فيها ثم استكمل دراسته في أكسفورد، تقلد مناصب رفيعة حتى وصل المندوب الرئيسي بالولايات المركزية في الهند في الفترة ما بين ١٨٩٥-١٨٩٨، ثم ترك الهند عائدًا للندن، تعلم العربية وهو =

إن الرعيل الأول من المتخصصين في هذا الإطار مثل عبد السلام هارون(١) قال عنهم : (إن الجهد العلمي الذي بذله المستشرقون في إحياء التراث العربي جهد لا يستطاع)

وتأثر جوته (٢) بالشعر الجاهلي ، مثل قصيدته " دعوني أبك محاطًا بالليل "

حيث يصور حالته بعد فراقه لمحبوبته وحزنه عليها ، فيقول :

دعوني أبك ، محاطًا بالليل
فى القلوب الشاسعة بغير حدود
الجِمال راقده ، والحداة كذلك راقدون
والأرمني سهران يحسب في هدوء
وأنا بجواره أحسب الأميال
التى تفصلني عن زليخا وأستعيد
" صورة " المنعرجات البغيضة التي تطيل الطريق

=في الهند وتتلمذ على يد نولدكه، وعشق الشرق، وأنفق خمسين عاما من عمره في دراسته، وأشهر أعماله: تحقيق ديوان عبيد بن الأبرص. مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي، د. محمود الطناحي، صـ ٢٤٢، دار الخانجي، القاهرة، ١٩٨٤، بتصرف.

١ولد عبد السلام هارون ١٩٠٩ في الاسكندرية في بيئة تحب العلم والعلماء فحفظ القرآن الكريم والتحق بالأزهر ١٩٢١، وتخرج في دار العلوم ١٩٤٥، عرف بشغفه في تحصيل العلم وإتقانه ومهارته، حقق متن أبي شجاع ١٩٢٥، خزانة الأدب ج ١ ١٩٢٧، وأولى كتب الجاحظ وتحقيقها عناية فائقة، ومن مؤلفاته: الأساليب الإنشائية في النحو العربي،والميسر والأزلام،وحول ديوان البحتري،وتحقيقات وتقسيمات في معجم لسان العرب، زادت مؤلفاته على ١١٥، والرسائل العلمية التي أشرف عليها عن ٨٠ رسالة. المجمعيون في خمسين عامًا، د. مهدي علام، ٢٤٣.

٢يوهان فولفجانج فون جوته ولد فى ٢٨-٨ ١٧٤٩ تفي ٢٢-٣ ١٨٣٢ نال شهرة واسعة تعلق بالأدب الجاهلى والقرآن الكريم وأحب الإسلام ورفض التثليث تأثر بالأديب شيلر أهم أعماله فاوست – ويكبيديا –، المزسوعة الحرة –الجزيرة نت

دعونى أبك فليس في هذا عار([1]) فتأثر جوته بمعلقة إمرىء القيس

قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

واضح بيّن.. من ذكر الأحبة والفراق والهجر. كما أنه تأثر بقول طرفه :

وقوفًا بها صحبي على مطيهم يقولون : لا تهلك أسى وتجملي

وقول الحارث بن حلِّزة

آذنتنا ببينها أسماء رب ثاو يمل منه الثواء

فالأدب العربي كان رافدًا هامًا لجوته ولغيره ، ولا نستطيع أن نحابي الاستشراق على إطلاقه ، ولا نهاجمه على إطلاقه ، متجاهلين أثاره الإيجابية، لكن الواجب علينا أن نلتمس العلم عند هؤلاء الناس حتى يتسنى لنا أن ننهض على أقدامنا ونطير باجنحتنا "

فإذا كان هناك تحفظات على الاستشراق والمستشرقين ؛ فيجب على المجتمع الإسلامي أن يوجد البديل الذي يمثل جذبًا قويًا للشباب ، وحاميًا يحول دون وقوعهم فى وهدة التغريب ، وإذا كانت هناك حركات يقظة حاولت فضح أهداف بعض المستشرقين وأبانت خبثهم ، فإن هناك محاولات انطلت على المجتمع الشرقي ، وتم تزييف كثير من القواعد التي تمجد الغرب ، حتى صارت من المسلمات ، وأخطر ما يتعرض له تاريخ العرب والمسلمين هو التفسيرات الخاطئة ، وطمس الحقائق ، ونسبة بدايات العلوم العربية إلى الغرب ، والتكاسل الذي أضاع (الكثير من عمر الزمن فى تفاهات الأمور ، وغيرنا يصارعنا فى عظائم الأمور ، ونحن لا نشعر ولا نعي ، وإن شعرنا فهو شعور الكسول المتباطيء الذي يجد المتعة فى التمطي والتثاؤب أكثر مما يجدها فى الحركة والعمل ([2]) **وإذا كانت هناك حركات يقظة حاولت فضح**

١جونه والعالم العربي كاتارينا مومزت د عدنان عباس ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب – الكويت ١٩٤، فبراير ١٩٩٥

١٢الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، صـ١٢٤ سلسلة كتاب الأمة ط ١

أهداف بعض المستشرقين وإبانت خبثهم .. بمعنى إنهم كانوا يعملون على كشف زيف تلك الحركات " الصهيونية – الماركسية الزردشتية وغيرها" لكنهم لم يلتفتوا إلى تراثهم ومزخورهم الثقافي فيعملوا على نشره وإتاحته للراغبين بشكل علمي مما يغلق باب الريادة على المستشرقين ومن يستجد ، ويحمى التراث من التلاعب به أو تزييفه ، إذ إن أخطر ما يتعرض له تاريخ العرب المسلمين " التفسيرات الخاطئة "وما ذلك إلا لعلمهم بقيمة الشرق، وإن كان اهتمام المستشرقين بالدراسات العربية تناولت الغث والثمين، كما أن نهجهم كان خليطًا من النهج العربي القديم والأساليب الغربية الحديثة، مما يشهد بالريادة للعرب الأُول، وأنهم فطروا كثيرًا من العلوم وابتدأوها رغمًا من محاولة طمس تلك الحقيقة، من قبل بعض المستشرقين ونسب البدايات الأولى لغير العرب والمسلمين، لكن هناك من أنصف وقال كلمة حق "ليس هناك خطأ أكبر من خطأ البناء على حقائق عامة على أساس من المعارف الناقصة، أو الضعيفة، ومن لا يعيش مع العرب لا يمكنه أن يلم الإلمام التام بأحوال وطباع ملايين المسلمين في أسيا وأفريقيا، ولا يمكنه أن يقول شيئًا مؤكدًا عن المجتمعات المتفرقة هنا وهناك، فلابد من التعايش كي يقوم أحدهم بالتعليق أو الحديث عن الإسلام والمسلمين"[١].

فقد أقر باختلاف العرب عن الغرب لاختلاف خواص التكوين ، وأن ذلك لا يدرك إلا بالتعايش. وبذلك نرى إن الاستشراق له جانب مضيء ولا سيما عند المستشرقين المحدثين إذ تخلصوا من صفتين أساسيتين صبغتا العديد من أعمال المستشرقين حتى نهاية الحرب العالمية الثانية، أُولى هاتين الصفتين هي: قصر العناية بدراسة حضارة الإسلام على الجانب الكلاسيكي وحده، وثانيهما: هى ميل كثير من المستشرقين إلي هوى ديني أو عنصري فى

١ الاستشراق والتبشير عقبات وتحديات، صـ ٣٣٧، د. محمود محمد رسلان، دار اللواء للطباعة، ٢٠٠٤، ١٤٢٥.

تناولهم لحضارة الإسلام ([1]) وهذا لا يمنع امتداد أثر المستشرقين في الأدب والبيئة الثقافية كما أثر الأدب العربي والأنماط المعيشية العربية فى الأدب والنسق الغربي.

١ مجلة العربي ، عهد من الاستشراق جديد أكثر إنصافًا وأنزه غاية ، مجلة العربي ، ع ١٢٩، أغسطس ١٩٦٩

الخاتمة وأهم النتائج

- إن تعريف الاستشراق على اختلافه وتشعبه لم يخرج عن فحوى اهتمام الغرب بالشرق؛ لغتهم وآدابهم وحيواتهم المختلفة اجتماعية وثقافية وسياسية ودينية، وقد حظي الدين واللغة بالنصيب الأوفر من هذا الاهتمام، إن أهداف ومحركات هذا الاهتمام متعددة منها الشغف بهذا الشرق وما يخصه، لغويًا ودينيًا، وقليل من يحركهم ذلك فقط ، أو مدَّ الامتداد والنفوذ لبلاد المشرق للسيطرة على مقدراتها وتسخيرها لخدمة مصالح الغرب وتبني وسائل مختلفة لتحقيق هاتين (تواصل مباشر – غير مباشر) (محو الهوية الشرقية عن الشرقيين، وإملاء مبتدعات غربية يتأثر بها الشرق، ويُسخر لاقتفاء أثر الغرب، لا تعميم في الأحكام النقدية، فلا ينبغي أن نضع خبثاء الطوية من المستشرقين في حزمة واحدة مع أطيبهم فقد انطوى بعضهم على حقد وكره للإسلام والمسلمين، ومنهم من كان موضوعيًا منصفًا فتحري العدل وبثه في آرائه ومؤلفاته، ربما يملك المشرقي المواد الخام (مادية – معنوية) لكنه يفقد الحماس في تفعيلها واستغلالها، ولا نغمط بعض المستشرقين حقهم فكثير منهم له فضل في إظهار تلك المواد وتطويعها والاستفادة منها، وإتاحتها لأكبر قدر من أهل الغرب والشرق ، وإن كان ثمة اعتراض أو تقصير من المستشرقين أو حتى تدليس وتضليل فالمجال مفتوح للمستدركين المصححين، فهم لم ينهوا ولم يدعوا للنأي عن معاودة النظر فيما فعلوه، بل أتاحوه للجميع، وعلى المهتمين والباحثين الجدد في ظل تيسير سبل البحث وسرعة وإمكانية الحصول على المواد البحثية إعادة النظر واستنباط نتائج قيمة، والتي سيأتي في طيها تصحيح مفاهيم مغلوطة – أوجدها المستشرقون بقصد أو بغير قصد – في أثناء تجديد عملية الطرح والمناقشة.
- لا نبرئ ساحة المستشرقين، ونقول إنهم أرادوا خيرًا – ولا سيما فيما يتعلق بالعقيدة – ربًا ورسولًا ودينًا ولغة – لكن أخطأوا الفهم والتعبير، أو نقول إن نواياهم شيطانية إذ غرست معاولهم في الثوابت لتقلقلها... وإنما نقول قد يكون

ثراء لغتنا العربية وتشعب دلالتها[1] واحتياج ركيزة ثقافية وإرث فكري متنام على مر العصور، –وهو ما يفتقده المستشرق الذي يهبط وادي لغتنا الرحب فجأة – هو الذي وراء اللبس إن سلمت النوايا–[2] حتى إن أحد المستشرقين أقر بحتمية اختلاف الفهم والاستنباط والفكر بين المسلم وغيره يقول الألماني ا.د. جريكه... "النظر إلى الأشياء يختلف بين مفكر مسلم وبين مفكر لم يتخرج من مدرسة الإسلام، تلك المدرسة المتورعة المتسامحة في آن واحد، فهو رجل لا يفقه كلام الرسول، إلا من سبيل الترجمة، ولا يستطيع التعبير إلا بحسب منطق فكري مباين، فلا بدع إذن أن يؤدي ذلك إلى نتائج قد لا تكون النتائج نفسها التي يصل إليها المفكر المسلم"[3] إضافة إلى ذلك أقر المستشرق جويدي بعجزهم عن إدراك سر اللغة وفهم طرائق التعبير " قال بعض الفقهاء كلام العرب لا يحيط به إلا نبيّ ، وكيف بي وأنا إيطالي ، كان مسقط رأسي في روما ونشأت في الغرب ولم يُتَح لي أن أجلس إلى

---

١ فمهما يفهم المترجمون العربية تظل الأخيرة تحتفظ بلمساتها الخفية، التي تعد من خواص تكوينها ولا تجود به إلا لذويها بشكل متوالٍ تراكمي، فابن هرمة أدرك الفروق الرقيقة بين الألفاظ قيل إن رجلاً أنشد ابن هرمه (قوله:

بالله ربك، إن دخلت فقل لها: هذا ابن هرمة قائماً بالباب

فقال: ما كذا قلت؛ أكنت أتصدق؟! فقال: فقاعدا؟ قال: أفكنت أبول؟! قال: فماذا؟ قال: واقفاً، ليتك علمت ما بين هذين من قدر اللفظ والمعنى.وإذا كانت هاتان الكلمتان قد تقاربتا إلا أنه ثمة فرق بينهما، ففرق بينهما من ناحية أن القيام يستدعي الاستمرار والدوام بينما الوقوف لا يستدعيهما وابن هرمة يريد أن يعلم صاحبته بمكانه، من غير أن يريد إخبارها بأنه ثقيل الظل لا يبرح بابها، بل هو قائم بجواره وهذا الفارق لا يتضح بالترجمة ، وقد لا يتبينه المستشرق الدخيل ، مثلما يدركه ويعيه العربي الأصيل

٢ بدليل أن تشارلز لايل، وكارل بروكلمان، تمكنا من اللغة العربية، وأفاداها جم الإفادة على أكثر من مستوى، وفي أكثر من مجال.

٣ محاضرة في الملتقى السنوي السادس للتعرف على الفكر الإسلامي، الذي انعقد في الجزائر: ج١ ص٦.

العلماء الشرقيين ، والنحاة واللغويين الذين لا تزال تزدان بهم هذه المدينة الزهراء التي يمكن أن تقول إنها منار الأدب العربي ، ومهما وجدت في الغرب من الوسائل العديدة لدراسة حياة العرب الروحية ، فما سدَّ هذا مسدَّ محادثة الأدباء الشرقيين ، وهي العملية التي لابد منها لإدراك كنه الأدب العربي " ([1])

إذن هناك منصفون أقروا بأن المعارف المتراكمة التي ينبت في ظلها المشرقي وتكون لحمته وسداه فتوجهه، تختلف عن التعلم المكتسب الذي يناله المستشرق ويحكم بضوئه، وقد سيطر المنهج التاريخي –على تنوعه –في دراسة المستشرقين للأدب العربي من نحو دراسة الأدب في ظل عصره السياسي، أو دراسته فنونًا أدبية مستقلة ، أو دراسة الأقاليم الجغرافية وما أفرزته، أو دراسة شخصيات أدبية وجدت فى حقب زمانية ورقعة مكانية معينة، وبذلك سيطرت فكرة الزمن فهي الحاكمة لدراسة العلوم والفنون ، فالتأريخ للأدب اعتمد على ركيزتين : إما الناحية السياسية أو الفنون الأدبية . وعلى الرغم تحسن الأوضاع حاليًا وحرص الغربيون على إقامة علاقات مع نظرائهم المبدعين الشرقيين " وخاصة فى مجال الأدب يهتم أكثر المختصين الغربيين الآن بالأبعاد الأدبية والجمالية والنقدية والنظرية للموضوع([2])

ولم يتفق القدامى والمحدثون على رأي قاطع فى الاستشراق أهو خير أم شر ، فمن تحدث فى هذا الإطار ساق من الآراء ما يتوافق مع تأييده او معارضته، وأرى أن التأثير والتأثر قد تبادلا بين الشرق وبين الغرب مبدعين وإبداع ، فإن كان للشرق حضارة تليدة محفوظة ، فإن الغرب جلاها وحدثها وأتاحها للأجيال ليستفاد منها ويطالعها بعد أن أضفى عليها الجانب العلمى عرضًا وتحقيقًا وتحليلاً إلا أن الفضل سيظل للمتقدم .... ولو تمكن الشرق قديمًا من الغرب لكان تغير حالهما إذ " لولا انتصار جيش كارل مارتل الهمجى على تقدم

---

١ اللغة العربية بين حماتها وخصومها ، أنور الجندى صـ٢٩، مطبعة الرسالة القاهرة .

٢ دراسات المستشرقين الإنجليزً ت١٢ بتصرف

العرب فى فرنسا لما وقعت فرنسا فى ظلمات القرون الوسطى ، ولما أصيبت بفظائعها ولا كابدت المذابح الأهلية الناشئة عن التعصب الدينى والمذهبي ولولا ذلك وانتصار البربر على العرب لنجت أسبانيا من وصمة محاكم التفتيش، ولولا ذلك لما تأخر سير المدنية ثمانية قرون (وعبر عن هذا المعنى: الكاتب الفرنسي كلود فارير وكذلك عرض له العلامة جيمس بريستد والمؤرخ مارك سمنوف (١) فالمدنية الغربية بجانها المشرق شيء حديث، أما العرب فهم يقدسون العلم ولا غرو فهم "أمة أقرأ" وما دخلوا بلدًا فاتحين إلا حافظوا على علمها وعلمائها باعتراف الغرب نفسه ، بل إن الغرب هو المسؤول عن الأعمال البربرية المدمرة التى لحقت بالعالم قديمًا وحديثًا فمكتبة الأسكندرية حرقت قبل الإسلام بمائتى عام حرقها الرومان بمراكبهم الحربية فى حصارهم لجيوش كليوباترا بقيادة يوليوس قيصر ، وبرأ المستشرق جيون عمر بن الخطاب وعمرو بن العاص من إتهام تحريقها (٢) لابد من إبراز الدور الريادى للعرب والمسلمين الأُول وبيان قيمة الإسلام وقامته الدينية والأدبية والمجتمعية، ومع الاعتراف بالفضل لبعض المستشرقين إلا أن ذلك لا ينفي عن بعض المستشرقين إنهم كانوا متحيزين ويدلفون إلى محراب العلم مزودون بوجهة نظر مسبقة يلتمس الحجج لتدعيمها ، وقد يتعسف في محاولة إثبات صحتها فيلجأ إلى فرضية غير واقعية او غير منطقية ، بل قد ينطلق من رؤية جزئية إلى أحكام كلية وقاعدة عامة وهو ما يخالف أيضًا البحث العلمي ويجب على صادقي النية النأي عن تلك السقطات

١ الإسلام فى وجه التغريب مخططات التبشير والاستشراق ، أنور الجندى ، دار الأعتصام صـ ٢٥٠

٢ المرجع السابق بتصرف

- إذن على الشاكين في أعمال المستشرقين أن يكشفوا الافتراءات ويفندوا الشبهات ويدفعوا الترهات عن الدين واللغة والرموز الإسلامية. فإذا ما أثبتوا ذلك أفاد العلم والمتعلمين بتصحيح المفاهيم، فمن يرى الاستشراق حركة تبشيرية استعمارية أو يراه حركة علمية منهجية بعثت العلوم الشرقية وجمعت أصولها وحققتها ونشرتها نشرًا علميًا منصفًا... عليهما معاودة النظر فلا تعميم ولا كلية في رصد الظواهر الأدبية على الخصوص، والإنسانية على العموم فالاستشراق لحقه الحسن والسوء شأن أي تيار حضاري.
- أخيرًا لا يجب أن نرحب بالمستشرقين وأعمالهم أو نعاديهم بل يجب أن ننظر إلى أعمالهم بعين النقد والحيطة ، فما توافق مع الموضوعية والحيادية قبلناه وما خالف ذلك يجب رفضه، ولا سيما إن صدر من مستشرقين توجههم استعلائي، لا ينظرون للشرق بوصفه كيانًا جغرافيًا تاريخيًا مجتمعيًا سياسيًا ثقافيًا مستقلًا مغايرًا لهم، وإنما يعملون على استحالته من تلك الكينونة المغايرة إلى مجرد ظاهرة معكوسة تعكس رؤيا الغرب وفهمه عن الشرق، أو ما يريد أن يكون عليه الشرق في عملية التمثيل ويعطي له ترميزًا موافقًا لإرادته.
- ونستطيع أن نوجز بعض النتائج:
- حبا الله الشرق بموقعه، ومناخه، وساكنيه، بجاذبية عظمى شغف بها الغربيون وعملوا على التواصل معه للاستفادة منه وكشف مكنونه.إزدادت عناية المستشرقين بالأدب العربي لما بلغه من اكتمال النسق الفني منهم من شكك أو التمس تفسيرات، لكنه ظل له قدسيته لديهم لما حواه من سمات الشخصية العربية خاصة، وصوره للمجتمع ومواقفه وأحداثه عامة.
- اختلف موقف المستشرقين ما بين منصف ومجحف وتبعه اختلاف موقف الشرقيين ما بين قابلٍ لأعمالهم، كاشفٍ لمزاياها، ورافض لها مميطٍ اللثامَ عن رزاياها.

- يجب ألا نكتفي بالاجترار، فنظرًا لحساسية الموضوع يجب إيجاد نخبة ممن يعنيهم الأمر ويمتلكون أداته، فمنهم من يكتشف المجهول، ومنهم من يعاود النظر في المكتشف، ومنهم من يوجه بالنتائج الحديثة ويفعلها ويعمل على نشرها والأخذ بها.
- أغفل المستشرقون دراسة آداب الفرق الإسلامية " كانوا يمرون على الآثار الإسلامية الفنية الأدبية إما مجحفين أو محايدين ولم يعطوها حقها .
- أرسوا بعض نظريات لازالت متوارثة ،من وسم مرحلة إبداع الأدب فى بعض العصور الإسلامية بالضعف ، وإعطاء مساحات مضاعفة للأدباء الغير عرب ، ترسيخ فكرة الحرية للمعتزلة والزنادقة ، ووسم العصر المملوكي والعثماني بالإنحطاط ، وقد انتصر بعض المستشرقين لانتمائهم السياسي على حساب حكمهم الأدبي.
- أثبت المستشرقون أهمية اللغة العربية بمشتقاتها وموادها وتعريفاتها وعاودوا شرحها مرارًا وتكرارًا ولا يفعل ذلك إلا مع ذي القيمة ، إذ يجدد أهل المعرفة النظر فيه لاكتشافه وقد بلغ ما ألفه المستشرقون حتى منتصف القرن العشرين "ستين ألف كتاب، على حد قول د. محمود حمدي زقزوق[1].
- إن التصدي والمواجهة تكون بالسلاح ذاته وعلى نفس الأرض لا بكلمات وتكييل الاتهامات،فالجهات المعنية والمؤسسات تركت الميدان للمستشرقين فخلطوا الصالح بالطالح ولم يقف المستشرقون مصححون متابعون – إلا قليل–.
- الملاحظ أن تناول الغرب لكثير من المغمورين الشرقيين من ذوي الطريقة العربية القديمة بنهج أدائي غربي حديثلم يك موفقًا إذ غفلوا عن صعوبة تطبيق بعض المناهج الحديثة على الأدب القديم .

---

١ الاستشراق الخلفية الفكرية، ص١١-١٢.

- عنى المستشرقون بدراسة القومية العربية سواء بالاختلاط المباشر (التبشير الاستشراق الاستعمار) أو من خلال طرح القضايا النقدية والأدبية الهامة .. مثل دراسة تاريخ الأدب، نشر المخطوطات ، تحقيق كتب التراث.
- تأتي خطورة الاستشراقٍ من الالتفات للدعوى التي يقدمها الغرب، وبعض أبناء الشرق لتسييد العامية، وتيسير النحو العربي أو تجديده، واستبعاث الشبهات المدفونة، وشغل الرأي بها وإشعال معارك وهمية وتعميق خلاف الفرق الإسلامية "أهل السنة، الشيعة، الخوارج" مما يفتت الرقعة الإسلامية ويبذر بذور الفرقة والتنابذ.
- رغمًا عن الاهتمام المتبادل بين الأدباء العرب والغرب إلا إنه لازال لدينا قصور تجاه أدبنا العربي وأدبهم الغربي على حد سواء؛ فنفتقد وجود دراسة أكاديمية متبادلة تسد الفجوات وتمنع التطرف في القبول والرفض المطلق على حد سواء ، ولا شك أن كتابة تاريخ أدب الخمسة عشر قرن بهذا الثراء العربي يسمح بسقوط فجوات لابد أن نعمل على سدها .
- العلاقة بين الشرق والغرب لم تنتهى ولن تتضح البواعث عليها بشكل قاطع وواضح لما للشرق من كنوز معنوية ومادية جاذبة للغرب ويبغى الاستحواذ عليها فعل ذلك قديمًا بالاستعمار والتبشير والاستشراق وحديثًا بما يستجد من وسائل ، لكن ذلك لا يمنع ان للمستشرقين فضلًا علمًا وأدبيًا لم يتخطاه الشرق إلى الأن عناية بأدبه وعلمه ولغته وآثاره .

أهم المصادر و المراجع

أولاً: المصادر

- الاستشراق: المعرفة، السلطة، الإنشاء، إدوارد سعيد، ت: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، الطبعة العربية السادسة ٢٠٠٣.
- الاستشراق السياسي في النصف الأول من القرن العشرين، د مصطفى نصر المسلاتي، ط الثالثة، مكتبة الأطلسي ١٩٩٧.
- الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي .
- الاستشراق المفهوم الأهداف الارتباطات على بن إبراهيم الحميد النملة، ط ٢ ٢٠١١
- الاستشراق و الخلفية الفكرية، د محمود حمدي زقزوق. سلسلة كتاب الأمة ، ط ١
- الاستشراق الفرنسي والأدب العربي أحمد درويش، دار غريب للطباعة ٢٠٠٤
- الاستشراق الألماني المعاصر والنقد العربي القديم ،د محمود درابسة
- الاستشراق وجه الاستعمار الفكري، عبد المتعال الجندي،مكتبة وهبه، القاهرة، ١٩٩٥.
- الاستشراق في الميزان، د. منذر معاليق، المكتب الإسلامي، بيروت، ط الأولى، ١٩٩٧، الاستشراق قراءة نقدية، د صلاح الجابري ط الأولى ٢٠٠٩، جيرار لكلارك
- الاستشراق والتاريخ الإسلامي القرون الإسلامية الأولى، د. فاروق عمر، الأردن للنشر
- الاستشراق والتبشير عقبات وتحديات، د. محمود محمد رسلان، دار اللواء للطباعة ٢٠٠٤، ١٤٢٥.
- الإستشراق والوعي السالب خيري منصور ، مكتبة مدبولي ٢٠٠٥

- الإستشراق والدراسات الإسلامية لدى الغربيين محمد حسن زماني ، ت محمد نور الدين عبد المنعم ٢٠١٩ ، المركز القومي للترجمة والنشر
- إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، مالك بن نبي، ، دار الإرشاد للطباعة والنشر.
- دراسات في الأدب العربي، للسير جوستاف فون جرونباوم، ت: إحسان عباس وآخرون، بيروت، ١٩٦٢
- فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، أحمد سمايلو فيتش دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٢.
- موسوعة الدراسات الإستشراقية – إنترنت

ثانيًا المراجع

- أباطيل وأسمار محمود محمد شاكر ج٢،، ١٩٧٢
- أثر العرب في الحضارة الغربية، عباس محمود العقاد، ، نهضة مصر، ٢٠٠٢،
- أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها التبشير الاستشراق الاستعمار دراسة وتحليل وتوجيه عبد الرحمن حسن حنبكة ، دارة القلم ١٤٠٥، ، ط٤
- الأدب العربي من الانحدار إلى الازدهار، جودت الركابي،دار الفكر ،دمشق،١٩٩٦.
- الأدب العربي الحديث ومدارسه،د. محمد عبد المنعم خفاجي،بيروت،دار الجيل.
- أسس اللغة العربية الفصحى، د. فالح العجمي، ، مطابع التقنية، ٢٠٠١.
- الإسلام فى وجه التغريب مخططات التبشير الآستشراق د أنور الجندى ، دار الاعتصام
- الإسلام دين المستقبل، دي جارودي روجيه، ت: د. عبد الحميد بارودي، دار الإيمان، القاهرة، ط٢، دار البحوث العلمية، ١٩٨١

- أنَّا ماري شميل نموذج مشرق للإشراق ت وتقديم ثابت عيد ، دار الرشاد
- أوليندر، لغات الفردوس، ت: جورج سليمان، المنظمة العربية للترجمة، ط١، ٢٠٠٧.
- التأويل الحداثي للتراث ، إبراهيم السكران، دار الحضارة، ط١، ٢٠١٤
- تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ، دار العلم للملايين ط ١٩٨١،٤.
- التراث العربي عبد السلام هارون، السلسلة الثقافية، المركز العربي للثقافة والعلوم، بيروت
- التطور النحوي للغة العربية محاضرات المستشرق برجسترآسر، أخرجه وصححه وعلق عليه: د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٤-١٤١٤
- جهود المستشرقين في تحقيق التراث العربي الإسلامي، عباس محمد حسن سليمان، .
- حوار الاستشراق من نقد الاستشراق إلى نقد الستغراب ، أحمد الشيخ ، المركز العربي للدراسات الغربية .
- رسالة فى الطريق إلى ثقافتنا محمود محمد شاكر دار الهلال
- سموم الاستشراق والمستشرقين فى العلوم الإسلامية أنور الجندى مكتبة التراث الإسلامى
- المستشرقون البريطانيون، آربري لتون، ت محمد الدسوقي النويهي، ١٩٤٦، ط١.
- المستشرقون والإسلام، حسين الهراوي، ، مطبعة المنار، القاهرة ١٩٣٦.
- المستشرقون ونشر التراث دراسة تحليلية ونماذج من التحقيق والنشر على بن إبراهيم الحمد النملة ، موسوعة الدراسات الإستشراقية الرياض ٢٠٠٣
- ظاهرة الاستشراق مناقشات فى المفهوم والارتباطات الاستشراقية ،على بن إبراهيم الحمد النملة موسوعة الدراسات الاستشراقية ٢٠٠٣

- شمس العرب تسطع على الغرب،ت: فاروق بيضون،وكمال دسوقي،دار صادر،دار الآفاق الجديدة بيروت،ب ت
- حوار الاستشراق، أحمد الشيخ ، المركز العربي للدراسات الغربية .
- في الأدب الحديث، د. عمر الدسوقي، ج ١، دار الفكر العربي، ط ٨، ٢٠٠٠.
- قضايا الحوار بين الأديان قديمًا وحديثًا وأثرها الفكري والأخلاقي، د. حلمي السعيد علام، ط١، ٢٠٠٤-١٤٢٥.
- القيم والخصال في شجرة الإستشراق الأسبانى الوارفة الظلال ، جمعة شيحة، مؤسسة البابطين الكويت ، ٢٠٠٤
- مجلة مجمع اللغة العربية دمشق، المجلد ٧٧، ج٣
- مجلة المجلة، حوار حسونة المصباحي مع د. ريجينا قرشولي، ع ٦٨٤، مارس ١٩٩٣.
- مصادر الإستشرق والمستشرقين، إبراهيم على النملة ،مكتبة النوبة الرياض، ١٩٩٣
- من أسرار العربية، مطبعة دار سعادة، ١٣٠٠هـ،
- موسوعة المستشرقين، د. عبد الرحمن بدوي، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٤.
- مواقف المستشرقين من الحضارة الإسلامية فى الأندلس دمصطفى الشكعة ج ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ١٩٨٥
- نقد الخطاب الاستشراقي، ساسي، سالم الحاج، ، بيروت ٢٠٠٢.